القديس تيودوروس

تلميذ القديس أنبا باخوم صاحب الشركة

ملكه حبيب يوسف

يوسف حبيب

القديس تيودوروس

تلميذ القديس أنبا باخوم صاحب الشركة

مترجم من الجزء الاول من مجموعة

Les Vies des Péres des Déserts d'Orient
par le R. P. Marin Michel-Ange

مليكه حبيب يوسف　　يوسف حبيب

« بسم الآب والابن والروح القدس الاله الواحد آمين »

حضرة صاحب القداسة أبينا الطوباوى المكرم رئيس الأساقفة

الأنبا شنودة الثالث

بابا وبطريرك الكرازة المرقسية

تلميذ القديس أنبا باخوم أبى الشركة

طهارته وزهده : ـ هو أقرب تلاميذ القديس باخوم إلى نفسه وقد أضفى على مؤسسته الديرية بهاء أخاذاً . وقد لقبه البوتانيون فى سنكسارهم بلقب « المقدس » le Sanctifié وكان أهلا لهذا اللقب من أجل براءة نفسه وطهارة خلقه احتفظ بها منذ طفولته . كانت عائلته مسيحية غنية وشهيرة جداً فى ايبارشية « لاتوبل » Latople فى الصعيد الأعلى، وهى إسنا الآن ، ولكن ذلك المركز الرفيع كان أبعد عن أن يبهره ، بل بالحرى سام ذلك فى أن يجعله يدرك بطلان العالم ويتوق بأكثر حمية نحو الأمجاد السماوية .

وقد انفعل بهذا الشعور المقدس بطريقة حية فى يوم عيد الفطاس ، حيث كانوا يحتفلون به فى بلدته احتفالا مهيباً يتخلله الكثير جداً من مظاهر الابتهاج الدنيوى أيضاً ، حيث كانوا يقيمون الولائم العظيمة يدعون اليها الأقارب والأصدقاء .

وإذ رأى تيودوروس الاستعدادات التى كانوا يعملونها فى بيته من أجل هذا العيد ، قال فى نفسه : « أيها البائس تيودوروس ! ماذا يُغنى عنك لو أنك أصبحت سيداً على كل العالم تتمتع بكل

الملذات الفانية ، محروماً من المسرات الباقية فى الحياة الأخرى ؟ لا يمكن أن ينغمس الانسان فى ملذات العالم ، وينال ثواب المجد الذى لا ينتهى أبداً » .

هذا التأمل جعله يقتبد تنهدات عميقة . والسحب إلى أبعد غرفة فى المنزل وسجد أمام الله ووجهه على الأرض ، وصلى إليه بدموع قائلا : « يا إلهى انى لا أرغب فى شىء ما فى العـــالم . لا ابتغى سواك وسوى رحمتك الإلهية » .

وبينما هو يصلى هكذا ، دخلت والدته الغرفة ، وقد ظلت تبحث عنه كثيراً ، وإذ وجدته وهيئاه تدمعان سألته فى دهشة عن سبب بكائه . وأضافت ان إخوته يبحثون عنه فى كل مكان لكى يذهب للمشاء . ولكنه بالرغم من إلحاحها توسل اليها أن تعفيه وتتركه فى هدوء ، وظل حبيس هذه الغرفة بقية ذلك اليوم .

كان عمره حينئذ يتراوح بين احدى عشر واثنى عشر سنة ، وبالرغم من صغر سنه كان يمتنع من أصناف اللحوم الفاخرة ، ولا يأكل سوى مرة واحدة فى اليوم مقتدياً فى ذلك الرهبان ، وكان أحياناً يستمر صائماً حتى عشية اليوم التالى . ولم يمنعه ذلك من الذهاب إلى المدرسة لدراسة الآداب الانسانية ، فظل يدرسها لمدة عامين آخرين .

توحده : ـ ولما كان يرغب فى ترك العالم كلية حصل على اذن من والديه بذلك واعتزل ضمن المتوحدين الأماثل الذين كانوا فى ايبارشية « لانوبل » (اسنا) واختبر بصحبتهم الحياة الرهبانية الاختبارات الأولى .

كان هؤلاء المتوحدون يعيشون أثار النهار عيشة المتوحدين ، ويجتمعون فى كل مساء فى نفس المكان للصـــلاة المشتركة ، ويتداولون فيما بينهم بما هو حول الكتب الإلهية . وفى احدى هذه الندوات سمع عن القديس أنبا باخوم وعن مؤسسته الجديدة اطراءاً كثيراً ، فشعر برغبة شديدة تدفعه أن يضع نفسه تحت قانون أبى الآباء العظيم هذا . وفى حماسه صلى إلى الله قائلا : « يارب ، إذا كان على الأرض رجل قديس كهذا ، فانى أتوسل إليك أن تمنحنى نعمة رؤيته ، والعيشة تحت قيادته ، حتى استطيع أن أعمل على خلاص نفسى بمساعدته » .

واستمر فى تلك الطلبة إلى ساعة متأخرة من الليل ؛ وفى الصباح حضر « بيكوز » Pécuse [1] لزيارة هؤلاء المتوحدين الأخيار رهبان طابنيسى [2] المتنازين ، وكان القديس أنبا باخوم

(١) أو بيكوزيوس ، أو بيجوش باللغة القبطية Pégosch .

(٢) Tabennisi ، طابنيسى اسم قبطى لقرية الدشرت الان ، =

يرسله إلى « لاتوبل » ، (اسنا) لأجل بعض المهام الخاصة بمؤسسته الدينية، فانتهز تيودوروس الفرصة وطلب منه بتوسلات كثيرة أن يأخذه معه إلى طابنيسى ؛ فوافق على ذلك .

تلمذته على الأنبا باخوم

ولا شك أن الله أعلم القديس أنبا باخوم بذلك باستنارة فائقة للطبيعة ؛ لأنه فى اليوم المحدد لوصول تيودوروس ، قال لتلاميذه أن « يبجوش » يُحضر إليه ولداً عمره بين ثلاث عشرة وأربع عشرة سنة ؛ ولكنه إناء مختار مملوء من روح الله . وإذ رأى تيودوروس رغبته النقية قد تحققت ، طفق يقدم الشكر لله أثناء الطريق؛ وعندما لمح من بعد باب دير طابنيسى ولمح القديس أنبا باخوم يتجه نحوه ، امتلأ قلبه سروراً حتى لم يستطع إلا أن يعبر عن فرحته بدموع عذبة . وأبدى القديس أنبا باخوم من ناحيته العطف نحوه واستقبله استقبالا أبوياً حانياً ، وكان يعتبره ابنه وتلميذه العزيز .

= ومعناه « تحيل ابزيس » . وكانت جزيرة فى النيل فى مواجهة دندره ، Tentyris ، تقريباً ؛ وعلى وجه التحديد فى منتصف المسافة بين نجع حمادى ودشنا ، كما تظهر فى الخريطة الأثرية التى رسمها الأب « لودوفيك تشيجليانو » P. Ludovic Cigliano والمطبوعة فى باريس والملحقة بكتاب « ندينو، عمره » تأليف الأب « بول شينو » P.Paul Cheneau.

وسرعان ما أعطى تيودوروس الدليل على حبه ؛ لأنه إذ رأى نفسه محاطاً من كل جانب بأمثلة ممتازة فى الفضيلة ، وكان متأثراً بتعاليم القديس أنبا باخوم تأثراً شديداً ، تهيأ للكمال بحماس شديد ، حتى كانت تبدو غيرته للتقدم لا تعرف حدوداً . وارتبط بصفة خاصة فى هذه البداية بتحصيل ثلاث فضائل أساسية : الأولى طهارة عظمى للقلب ؛ والثانية حفظ الصمت بدقة ؛ والثالثة الطاعة السريعة المخلصة .

ولم يتوان فى اخلاصه عن حفظ القانون وممارسة كل التداريب ، والمثابرة على السهر والصلاة ، ناظراً دائماً إلى كل ما يعرف انه أكثر كمالا . وتقدم فى الحياة الروحية جداً ، حتى كان بالرغم من صغر سنه ، قادراً عن جدارة على نصح القدماء ، والتخفيف عن الحزانى .

ولم يكن ذلك بالأمر الهين للتعزية بالنسبة لأبيه القديس باخوم ، الذى كان يرى بفرح مقدس تقدم تلميذه المنير بسرعة ، واستبشر خيراً أن الله يعدّه ليكون خلفاً له فى رعاية النفوس .

زيارة والدته : ـ ولما علمت والدة تيودوروس أنه موجود فى طابنيسى أرادت أن تسحبه من هناك ، فحضرت لذلك ومعها خطابات من بعض الأساقفة القديسين . وأستطاعت أن تنزل فى

دير الراهبات [1] ، ومن هناك أرسلت خطاباتها إلى القديس أنبا باخوم ، وأرسلت تقول له انه إذا لم يرغب ابنها في ترك الدير ، فعلى الأقل يجب لها أن تتعزى برؤيته .

حينئذ استدعاه القديس باخوم ، واعلن له نية الأساقفة الذين كتبوا له ، وقال له أن يذهب ليرضى أمه كما تتمنى . وإذ كان تيودوروس قد مات عن كل محبة طبيعية حسب الجسد ، ردّ عليه بتواضع شديد قال :

« أرجوك يا أبي أن تؤكد لي أن الله لن يحاسبني عن هذه الزيارة في يوم الدين ، بعد الأنوار التي أنعم عليّ بها بخصوص الحياة الرهبانية . وعلى أي حال أليس خوف عليّ ان اعطي بذلك

---

(١) وهو الذي اسمه القديس أنبا باخوم لتقيم فيه اخته التي حضرت تطلب مقابلته ، فأرسل لها من يقول لها على لسانه :

« تعرفين أني حي وان صحتي جيدة ، فأرجعي اذن إلى البلد ولا تحزني لأنك لم تبصريني بعيون الجسد . وإذا كنت ترغبين حقاً في اختيار الحياة التي أحياها لكي أنال رحمة الله ، ففكري في ذلك جيداً ، وإذا كانت هذه هي إرادة السماء ، فأرجعي وأنا ابني لك ديراً في مكان ما تبنين فيه في تقوى ، وأني لا اشك ابداً في ان كثيرات من النساء الفاضلات سوف يقتفين اثرك » .

وكان هذا الدير يضم حوالي أربعمائة راهبة في زمن نياحة القديس .

مثلاً سيئاً لإخوتي ، بينما يجب عليّ ان اقدم لهم تعليماً ذا فعالية في هذه المناسبة ؟ وإذا كان أولاد اللاويين في الناموس القديم لم يجدوا صعوبة في التضحية بمحبة الوالدين في سبيل اتمام ناموس الله ، فكم بالحري يجب عليّ في ناموس يسوع المسيح ان اضحي له بمحبة والدتي ؟ اني اعتبر نفسي كأن لم يكن لي شيء في العالم ، بعد أن تركت العالم كما فعلت ، طالما ان هيئة هذا العالم تزول » .

كان القديس أنبا باخوم يريد أن يرى ان تلميذه تخالجه مثل هذه المشاعر بالضبط ، فلم يعترض وقال له :

« اني لست اعترض على مشاعرك ، طالما كان الأمر هو تفضيل الله على والدتك . وعلى النقيض ، لا يسعني الاّ أن اثبتك فيما انت عليه ، لأن يسوع المسيح قال : « من أحب أباً او أماً أكثر مني فلا يستحقني » .

هنا يكون بلا شك الكمال الحقيقي . واني لا اشك في أن الأساقفة القديسين الذين هم آباؤنا ، عندما يعلمون بقرارك ، لن يغضبوا له ، بل يسرون به ، إذ يرون انك تقدمت في الفضيلة ، والواقع انه لا يمكن أن يحسب توقفك عن محبة والديك المحبة الطبيعية حسب الجسد ذنباً ، فلا تحبهما إلا في يسوع المسيح كأعضائه ، مادام الجسد لا يفيد شيئاً » .

ولما علمت والدة تيودوروس بقراره ، ولن يكون سهيل إلى رؤيته أبداً إذا عادت إلى العالم ، قررت أن تذهب فى دير الراهبات الذى كان القديس أنبا باخوم قد انشأه عبر النهر ، بالمنى أن تأمل على الاقل أن ترى ابنها بالصدفة صحبة الرهبان الآخرين ، فضلا عن أنها تعمل بأكثر تأكيد على خلاص نفسها .

وعن ذلك يقول مؤلف سيرة القديس أنبا باخوم هذه الملحوظة : « أن ذلك يبين أن الذين يستعملون الحزم فى مثل هذه المقابلات على سبيل المحبة التى عندهم فى يسوع المسيح ، وليس على التظاهر الباطل ، إنما يستطيعون أن يساهموا كثيراً فى تقدم الآخرين فى الفضيلة ، ولو بدا أنهم يسيئون اليهم بعض الوقت بمثل هذه الشدة » .

تجرده :- لم يكن ذلك هو البرهان الوحيد الذى أعطاه تيودوروس على تركه للمحبة الطبيعية . فقد حضر اخوه يفتوتى ليترهب ، فكان يعامله بمثل ما كان يعامل به الاخوة الآخرين بما أحزنه ، فلم يكن قد وصل بعد إلى هذا التجرد الكامل ، وخشى القديس باخوم أن يوقعه فى اليأس بما كان منه ، فطلب من تيودوروس أن يعمد إلى التبسيط ، فإنه تطيب المسالمة مع ضعف الآخرين ، لا سيما فى أول تحولهم ، ففعل ذلك بحرص . وكان

تيودوروس أخ آخر أكبر منه سناً يدعى مقاريوس وقد ذهب ليترهب فى طابنيسى كأخيه .

ولم يكن تقدمه فى التجرد عن الأهل لحسب ، ولكنه كان يتقدم فى كل يوم فى تجرده من ذاته وفى اماتة إرادته الشخصية . وما يرويه عنه كاتب سيرته يبعث على التأثر الشديد لدرجة أنه يستحق الا ندع كلمة واحدة منه تفوتنا . يقول :

« ان تيودوروس مع كونه لايزال صغيراً جداً ، كان يعزى روحه بمحبة مستمرة نحو الوصايا الطاهرة القويمة التى فى الكتب المقدسة . وكان يتقوى يوماً بعد يوم بنعمة الروح القدس ، ويجتهد فى الاقتداء بأبيه القديس باخوم فى كل شىء ، وكان يطيعه إطاعة لله ذاته . فإذا حدث أن وبخه الأب القديس ، لم يكن يلتمس لنفسه الاعذار أبداً ، ويأخذ العقاب فى صمت متواضع ، مع كونه بريئاً فى بعض الأحيان ، كان يحدث أن يعطيه القديس أوامر متناقضة من باب الخطأ أو النسيان ، لانه فى تلك الحالة أبعد مايكون عن اداة رئيسه ، يقول فى نفسه : انه رجل الله بلا تغير عن هوى ، ولكنه قد يكون أحياناً محولا بغير ما يشتهى بروح الله ، يأمرنى بأشياء مضادة لإرادتى حتى يقومنى فى طريق أفضل »

حيث انى ناقص جداً : لذلك يلزمنى ان اكون امام الله لكى يعطينى قلباً مستقيماً مستعداً دائماً لإطاعة إرادة قديسيه » .

كان هذا الخضوع التام عند تيودوروس أمراً يستحق عليه الثناء بالاكثر، لاسيما وانه كان ذا عقل مثقف وكان مستنيراً وعلى مستوى يفوق سنه ؛ وإذا كانت مواهبه قد رفعته فيما بعد إلى المكان الأول فى المؤسسة الديرية ، فيمكن القول بأن من الفضائل التى أكسبته القدرة على الحكم والابرام ، معرفته حقيقة الطاعة الكاملة .

معاونته فى الادارة : ـ ولذلك لم يتردد القديس أنبا باخوم فى الانتفاع بخدماته واستعان به فى مقابلات كثيرة ، سواء أكانت لكى يعزى ويقوى الذين كانوا فى شدة ، أولكى يقوم النفوس العاصية ، ولقد أظهر فى كل هذه المهام مهارة وحرصاً مبكرين .

كان عمره حوالى عشرين سنة فى الوقت الذى رأى القديس باخوم فيه أنه يستطيع ان يعلم الاخوة نيابة عنه. وقد أمره بذلك ذات مساء دون أن يعطيه فرصة للاستعداد ؛ وتغلب التلميذ المتواضع على خجله بطاعته الكاملة ، فتكلم حسناً جداً امام ذلك الجمع الغفير، حتى أن القديس أنبا باخوم اعترف بأنه وجد منفعة كثيرة فى حديثه .

وإذ وجده القديس باخوم ثابتاً فى الروح القدس بما فيه الكفاية ، لم يتردد فى أن يعهد إليه بوظائف أكثر صعوبة ؛ فجعله رئيساً لدير طابنيسى .

رئاسته فى طابنيسى

ومع انه ليس من السهل تحمل هذه المسئولية بالنسبة لراهب فى سن الثلاثين ، وكان تيودوروس فى هذا السن فى ذلك الوقت ، كلفه ان يقوم بزيارة الأديرة الأخرى أيضاً ، وأعطاه السلطة بأن يتصرف فى كل شىء فيها كما لو كان هو نفسه الذى يتصرف ؛ وعندما كان يقوم بزيارتها شخصياً ، كان يقول عادة أنه يقوم بمسئوليته بالاشتراك مع تيودوروس وانه اعطاه سلطة على الرهبان كأب روحانى لهم فعلاً .

ولكن تيودوروس كان بعيداً جداً من ان ينال منه الغرور بسبب ذلك ، إذ يرى نفسه فى هذا المركز على صغر سنه ما كان يفكر فى ذلك اطلاقاً ؛ وبينما كان رئيساً عاماً لطابنيسى ، أو مفتشاً على الأديرة الأخرى ، لم يظهر سوى التواضع والغيرة من أجل تقدم الاخوة الروحى . يقول كاتب سيرته :

« بالرغم من انه كان يشغل المكان الأول فى طابنيسى ، الا

انه كان يملك هناك كما لو لم تكن له سلطة على الآخرين ، ذلك انه كان ينكر الأغراض الشخصية . حرفوا فيه تسامى روحه نحو الله ، فى تدريب يكاد يكون مستمراً فى محبته المقدسة ؛ ولكن ذلك لم يمنعه من أن يعتنى بأخوته . فكان يسهر باجتهاد وكان لا يعرف الكلل ليسدّ الاحتياجات الروحية والزمنية ، بالاضافة إلى موهبة الكلام التى اخذها من الله والتى كانت تأتى بنتيجة عجيبة فى المجموعة » .

ولكنه كان لا يكتفى بما يتحدث به شخصياً إليهم كان مواهبه فى نظره غير كافية لتعزيته الاخوة ؛ فكان يذهب كل يوم من طابنيسى إلى « بابو » Pabau [1] حيث كان يقيم القديس أنبا باخوم ، لكى يستمع إلى تعليماته ، ثم يعود إلى الدير ليعرّف بها الرهبان قبل ساعة الغروب .

كانت الموهبة العظيمة التى اخذها من الله لتشجيع صغيرى النفوس وتعزية الحزانى تجعل كل الرهبان يستقبلونه أثناء زياراته بفرح وترحيب فوق العادة . وكانوا فى هذا يرون فى سلوكه تعزية

(١) كان هذا الدير الجديد قريباً جداً من الدير الأول ، وكان الطريق يستغرق حوالى ساعة سيراً على الأقدام و « بابو » Pabau هى طاو الحالية بمحافظة قنا ، مركز دشنا .

كبرى تعوضهم عما يفتقدونه من تعزية لم يدركوها من سلوك القديس أنبا باخوم الذى بالرغم من كماله فى كل شىء ، كان يؤكد دائماً فى تعاليمه على الحقائق المرعبة فى الدين ، فكان يقوّم الضمائر مبيناً ما يتهدّد الإنسان من الأشياء المرعبة ؛ بينما كان تيودوروس يغلب عليه أن يقتاد إلى الله النفوس التى يصلحها طريق الثقة أكثر من تلك التى يصلح معها طريق الخوف . ويقول فى ذلك الأب بول شينو P.Paul Cheneau أن القديس أنبا باخوم كان يحاول أن يكلف القديس تيودوروس بالمهام التى يصح فيها اللين والملاطفة ، بينما يترك لنفسه مسئولية التوبيخ والتأنيب .

حكمته فى معاملة الرهبان

وفى أثناء احدى هذه الزيارات أحضروا إليه أخاً اتهم بالسرقة ؛ وكان بريئاً ، ولم يكن فى الاستطاعة معرفة المتهم الحقيق . ولكن هذا الاخير ، وكانوا يعرفون عنه أنه راهب أمين جداً ، كان مضطرباً بسبب وخز ضميره . فكان يبكته ونظراً للخطر الذى كان فيه الاخ المتهم ، إذ كان أقل القليل أن يتحتم طرده من الدير ، فقد ذهب إلى تيودوروس سراً واعترف له بخطيته .

وإذ رأى تيودوروس ندم الراهب على خطيته من خلال

اعترافه بتواضع ، ساعه ؛ ثم نادى الذى كان متهماً زوراً ، وقال له هذه الكلمات الجميلة ليعزيه :

« انى أعرف يا أخى انك برىء من السرقة التى اتهموك بها ؛ ولكن ان كنت قد تألمت من معاملة زملائك إزاء هذا الموضوع ، مع انك لست خليقاً بها فى هذه السرقة امام الله ؛ فيلزمك أن تفكر فى انك استحققت ذلك لأجل خطايا أخرى كنت مديناً بها نحو العدالة ، وهكذا يجب أن تثبت بالأكثر فى خوف الرب وتقدم له الشكر » .

ان هذه القصة الصغيرة تبين مقدار الفطنة واللباقة اللتين عالج تيودوروس بهما مواضيع النزاع أثناء زياراته ؛ ولكنه كان يعرف كيف يستعمل الحزم إذا لزم الأمر ؛ وإذا كانت وداعته جعلته محبوباً من الجميع ، إلا أنه كان يعرف كيف يضع نفسه أبعد من كل اعتبار بشرى عندما كان الأمر يتعلق بمجد الرب ، وكان الجميع مقتنعين بذلك فى كل الأديرة .

حضور بديهته : ـ ولقد أظهر قوة عبقريته فى الرد الذى رد به على أحد الفلاسفة ، وكان قد سأله سؤالا بقصد احراجه ، وذلك عندما أخذه القديس أنبا باخـــوم مع « كرنيليوس »

Cornélius[1] لأجل تأسيس أحد الأديرة الجديدة ، سأله هذا الفيلسوف من الذى لم يولد ومات ؛ ومن الذى ولد ولم يمت ؛ وأخيراً من الذى ولد ومات ولم ير جسده فساداً ؟

أجاب القديس تيودوروس : الأول هو آدم ، لأنه لم يولد إذ جبله الله بيديه ، وقد مات . والثانى هو أخنوخ الذى ولد مثل الناس الآخرين ، ولكنه لم يمت لأنه رفع عن الأرض . والثالث هو امرأة لوط التى تحـــول جسدها إلى عمود ملح . فأسكت هذا الرد فم الفيلسوف والسحب دون أن تكون له أية رغبة فى سؤاله شيئاً آخر .

تدريب أنبا باخوم له : ـ مع أن القديس أنبا باخوم أفاد بتيودوروس فى قيادة الآخرين ، إلا أنه لم يهمل السهر على تقدمه الشخصى فى طريق الكمال ، وما كان يفوته شىء مما يحسبه ضرورياً ، سواء أكان من أجل تثبيته فى الفضائل التى حصل عليها ، أو من أجل تقويمه عندما كان يرى فيه شيئاً يستحق اللوم ، أو ليجعله يتقدم تقدماً جديداً .

وذات يوم كان يتألم من صداع شديد ، فرجا القديس باخوم

---

(١) Cornélius أو Corneille ، كرنيليوس أوكرنى هو أحد مشاهير تلاميذ القديس أنبا باخوم .

أن يصلى إلى الله من أجله لكى ينال الشفاء . ولكن القديس الذى يفضل منفعته الروحية على راحة جسده ، لم يرد أن يستخدم لصالحه موهبة شفاء المرضى التى كان قد نالها من الله ، وحثه على الصبر على ألمه على مثال أيوب الصديق .

كان الله قد حبا القديس تيودوروس نعمة الرؤى ، ولم يتأخر أبداً عن أن يقدم تقريراً إلى أبيه الروحانى عندما يكون قد رأى رؤية ، وما كان هذا القديس ليرد عليه عادة إلا لكى يؤمنه ضد المجد الباطل ، ويجعله دائماً فى حدود التواضع . وقال له فى احدى هذه المناسبات إن الله يعلمه بالحقيقة بالطريقة التى يستطيع أن يدركها بها أحسب . وفى مناسبة أخرى قال له أن الذى أخذ عشر وزنات قد ربح بها عشراً ؛ فعليه أن يطبق هذا المثل على نفسه ، ويجتهد أن يكون شاكراً من أجل النعمة التى نالها بأن يعطى الثمار اللائقة . فتأثر تيودوروس من ذلك جداً ، وتحركت فى نفسه مشاعر التوبة العميقة والتواضع الجم .

ولكن هذا الأب الروحانى الممتاز تصرف نحوه فى مرة أخرى بشدة بالغة لكى يطهره من الشعور بالمجد الباطل ، وبالأخص لكى يجعله ثابتاً فى تواضع كامل ؛ ورد القديس تيودوروس رداً كاملا ، حتى اننا لا نعرف ماذا نعجب له

جالا أكثر ، أهو حماس المعلم وحرصه ، أم طاعة التلميذ وتواضعه .

كان القديس باخوم مريضاً فى « بابو » Pabau [1] ، وكان ذلك قبل نياحته بسنتين ، وكان أهم تلاميذه مجتمعين حوله ، يملأهم الحزن خوفاً من أن يخسروه . وفى هذه المشاعر ، بدأوا أثناء حديثهم بعيداً عن حضرة القديس ، فى التشاور فيمن يمكنه أن يخلفه فى مسئوليته . وإذ كانوا مقتنعين أنه لا يوجد أحد عنده روحه أفضل من تيودوروس ، سألوه أن يعدهم بأنه فى حالة نياحة أبيهم الطوباوى ، لن يرفض الاضطلاع بقيادة الأخوة ، إذ أنه الشخص المناسب أكثر من أى شخص آخر ، ذلك حتى يحفظهم فى اتحادهم . فقاوم تيودوروس ، وقاوم مرات عديدة ؛ ولكن غلبه اصرارهم ، فوعدهم أخيراً بأن لهم ما يرغبونه .

أن الذين انتزعوا موافقته كانوا بعيدين جداً عن الاعتقاد بأنه أتى أى خطأ عندما أعطاهم وعده ؛ ولكن عندما علم القديس أبا باخوم بذلك ، وهو الذى كان يريد لتيودوروس أن يكون أعظم كلا ، ولاسيما أنه كان خاليـــاً تماماً من أقل شعور بحب المراكز ، لم يقرهم ، وبين فى ذلك سمو استنارته أفضل مما كان لتلاميذه فى تمييز مشاعر الاستعلاء ؛ وقد شعر القديس تيودوروس

(١) وهى « فاو » الحالية بمحافظة قنا ، مركز دشنا .

فعلا بأفكار المجد الباطل تهاجمه كما لم تهاجمه من قبل .

فلكي يعالج أصلها ويجعل فضيلته كاملة، أرسل القديس باخوم يستدعيه مع الرؤساء الآخرين وهم : سور Sur ، بسنتايز Psentaëse ، وبفنوتي Paphnuce ، وكرنيليوس Corneille وإذ رآهم مجتمعين كلهم حوله، أمرهم أن يعلن كل منهم في حضرته خطاياه التي يشعر بأنه سقط فيها ، ويعترفون . وكان هو نفسه أول المعترفين ، حتى يعطيهم مثالا . ثم سأل تيودوروس إذا كان لديه ما يؤنب النفس عليه . حينئذ اعترف تيودوروس بتواضع بما كان يدور في خلده قال :

« لقد انقضت سبع سنوات منذ أن اشركتني في المسئولية بزيارة الأديرة وقيادة الاخوة . وفي كل هذا الزمن لم أفكر أبداً في أن أخلفك في الرئاسة ، ولكن هذه التجربة تهاجمني الآن واشعر أني لم احاربها كما يجب » .

فرد عليه القديس أنبا باخوم قائلا : « حسناً تقول ، وأرى انك لم تصل بعد إلى أن تخمد في داخلك المشاعر الطبيعية الفاسدة فيلزمك أن تعيش في الوحدة وتطلب المغفرة من الله فيها » . وأعفاه من العناية بالاخوة وأنزله إلى درجة راهب بسيط .

وخرج القديس تيودوروس من المجمع متألماً جداً ، ليس لتنحيته من مسئوليته ، ولكن لتطرق المجد الباطل إلى قلبه ، ولأنه أحزن أبيه الروحاني ؛ واعتزل داخل إحدى الفلايات ، تاركاً نفسه للأنين والدموع، خشية أن يرفضه الله من امام وجهه ، وهكذا كان تواضعه وندامته يزيدان استنكاره لخطيئته .

واستمر سنتين في هذه العقوبة ، أي إلى وقت تياحة القديس أنبا باخوم . وطوال هذه المدة ، كان يجتهد في نفسه على التواضع بغيرة شديدة جداً ، لدرجة انه كان يتصرف في كل شيء كأنه مبتدىء . كان يبكي بمرارة عظيمة على خطيئته ، لدرجة انهم كانوا يخشون أن تؤذي غزارة دموعه عينيه ؛ وأعطى علامات كثيرة عن تواضعه ، حتى ان القديس باخوم لم يخش أن يقول أن الله منذ ذلك الحين قد أعطاه نعمة التقدم سبعة أضعاف درجة تقدمه قبلا .

ويبدو أيضاً ان السماء قد انذرت بحكم القديس بواسطة عطية خاصة ؛ لأن القديس تيودوروس كان قد أعطى قبل دخوله كلية في العزلة تصريحاً بالسفر إلى « مونكوز » Moncose [1] لكي

(١) يكتب « مارلن ميشيل انج » Marin Michel-Ange أنه ذهب إلى بلدة « مونكوز » Moncose بدون أي ايضاح آخر ؛ =

ينهى مأمورية تتطلب حضوره ، فوجد فى المركب الذى استقله على النيل ، شيخين جعلاه يأمل أن يصير ورئيساً لفضائل أبيه القديس ما دام خاضعاً لأوامره ؛ وعندما نزل من المركب لم ير هذين الشيخين ، فاعتقد انهما ملاكان أرسلهما الله إليه لكى يعزياه ، وهكذا كان حكم القديس أبيا باخوم أيضاً .

وقبل تباحة أبى الآباء ببضعة شهور ، كان زكا Zachée ، رئيس الدير ، قد كلف بالذهاب إلى الاسكندرية ، وحصل على تصريح بأن يرافقه تيودوروس فى سفره . وعند عودته ، ذهب القديس تيودوروس لمقابلته فى « بخنوم » Pachnum [1] حيث كان قد انفرد بعد بجمع اسنا (لاتوبل) ، وأخبره بحالة كنيسة الاسكندرية المحـــزنة بسبب هنف الاريوسيين ؛ ولما مرض القديس باخوم بعد ذلك بقليل مرض الموت ، ظل يخدمه إلى النفس الأخير .

= ويكتب الأب « بول شينو » P. Paul Cheneau أنه دير « موكوز » Muchouse ولكن الاثنين يتفقان على أن السفر كان فى مركب على النيل لذلك نرجح أنه دير يقع عند بلدة « باخانس » الحالية بمحافظة قنا ، مركز فرشوط فى جزيرة يكونها النيل مع الترعة الرشوانية . وتنطق بالقبطية « تموشنس » Tmouschons .

(١) قرية بالقرب من اسنا اندثرت الآن ، وكانت على الطريق بين اسنا والواحة الخارجة .

وصية القديس الأبا باخوم له : ـ وفى هذه المناسبة اعطاه الأب القديس علامات عظيمة عن محبته ، وأوصاه ثلاث مرات الا يترك الاخوة الذين يراهم مهملين فى خدمة الله ؛ ويتضح من ذلك توقعه انه سوف يرأس المؤسسة الديرية فى يوم من الايام ؛ ولكنه لم يشأ أن يعينه خلفاً له مباشرة ، حتى يترك له وقتاً كافياً ليتأصل فى التواضع الكامل . فعين « بترون » Petronne أو بترونيوس . ثم خلف بترونيـــوس « أورسيس » Orsise أو اورسيسيوس . وهذا الأخـــير استعان بالقديس تيودوروس واضطره أن يقبل المسئولية بدلا منه .

وقبل أن يرقى القديس تيودوروس إلى الرئاسة ، كان يتصرف دائماً كراهب لا يطمع مطلقاً فى المسئوليات ، ولا يرتبط إلا بأن ينكر نفسه وسط جماعة الاخوة . وعندما كان « اورسيس » يقوم بتعليم الرهبان ، كان تيودوروس يجلس مع الآخرين يستمع إليه فى بساطة الصغار ، وكأنه ليس لديه قسط من المعرفة ؛ وعندما كان الاخوة يسألونه بعض النصائح الروحية ، أو عندما كان يروى لهم عن الرؤى التى رآها القديس أبيا باخـــوم ، كان يحيلهم إلى « اورسيس » كمسئول يتجهون إليه .

كان « اورسيس » قد أرسله أولا إلى « بابو » (فار الحالية)

لكي يشرف على عمال الدير . ثم طلبه القديس مقاريوس رئيس دير « بخنوم » بهدف القيام بعمل الخبز ؛ ولكن في الحقيقة كان يهدف من وراء ذلك تعزية الاخوة . فذهب بطريق النهر، وبينما هو في المركب كان يجلس في تأمل عميق ، وكان منظره متواضعاً جداً ، حتى ان أحد الرهبان الموجودين هناك ، ولم يكن يعرفه ، ظن أنه راهب جديد ، فاقترب منه وأخذ ينصحه بما يليق براهب مبتدىء . وكانت وداعة القديس تيودوروس أثناء استماعه إليه ، والردود المتواضعة التي رد بها على أسئلته مما جعل الراهب يتأكد صحة ظنه ؛ ولكنه اندهش جداً عندما اقترب من الدير الذي كان ذاهباً إليه، لأن الرهبان حالما علموا بقدوم تيودوروس، أسرعوا بالحضور جماعات للقائه واستقباله بفرح غير عادي. فجعل الراهب من خطأه وارتعب لأنه تجاسر على نصح رجل ذي جدارة ممتازة بهذا المقدار .

رئاسته الأديرة

حدث ان القديس اورسيس لم يشعر في نفسه بالقوة والشجاعة الكافية لمعالجة بعض التراخي الذي كان قد تسلل إلى المؤسسة الديرية بسبب تمرد « ابولون » Apollone رئيس دير « منكوز » ،

فصلّى إلى الله لكي يعين له خلفاً يستطيع أن يلقي عليه الحمل الذي يحرجه ، فأشار الله إلى القديس تيودوروس في شكل سرير جديد يمكنه ان يرتاح عليه .

وبناء على ذلك جمع اورسيس رؤساء الأديرة واقترح ان يقوم تيودوروس بعمله ، فأظهر الجميع ارتياحهم ، واسرعوا باحضاره ، (إذ انه لم يكن حاضراً) حتى يقيموه رئيساً عليهم . ولكنه عندما حضر وعلم بنيتهم ، لم يشأ ان يسمع منهم شيئاً وعارض قائلا انه لن يتناول طعاماً حتى يسمحوا له بالكلام مع اورسيس الذي كان قد مضى ليلاً إلى دير « كنوبسك » Chenobosque [1] .

وفعلا لم يأكل شيئاً لمدة ثلاثة أيام ، حتى اضطر القديس اورسيس إلى العودة ، وبيّن له بوضوح ان الله يريد له أن يتولى قيادة الأخوة ، فاضطر ان يقبل . ومع ذلك فانه لم يعتبر نفسه أبداً سوى مساعد لاورسيس ؛ ومع ان اورسيس قد انتقل فيما بعد من « كنوبسك » إلى « منكوز » الذي كان أكثر بعداً من « بابو » حيث يقيم ، الا انه لم يهمل الذهاب إلى هناك مرات

(١) أو Chenoboscium ، وبالقبطية « سنيت » Seneset، في مواجهة قصر الصياد . بمحافظة قنا حالياً .

كثيرة ، لكي يغترف من نصائحه وكان تواضعه يجعله يفتكر أنها تنقصه ؛ وما كان يشرع أبداً فى اى أمر دون ان يأخذ رأيه ؛ بما جعل القديس اورسيس يقول أنه يرأس الاديرة بواسطة تيودوروس كما كان قبلا يرأسها وحده ، وأنه حقاً السرير الجديد الذى أمره الله ان يرتاح عليه .

اعادة الوحدة بين اديرة النظام الباخومى : ـ ربما ان الهدف الرئيسى الذى كان أمام القديس اورسيسيوس عندما اختار القديس تيودوروس ، هو جمع النفوس المنقسمة ، لذلك كان هذا موضوع اول خطاب ألقاه الرئيس الجديد إلى رهبانه : فكان يحثهم بقوة على المحبة المتبادلة . ووضع أمامهم ما تكبده أبوهم القديس باخوم من أتعاب وحروب ضد الشياطين فى سبيل تأسيس الاديرة ، وكيف يكونون مذنبين إذا هم انقسموا فتسببوا فى انهيار هذا العمل العظيم . ووصف لهم الحالة السعيدة التى كانوا فيها فى زمن ابيهم القديس ، واستحلفهم ان يعيدوا تلك الحالة بوحدتهم الكاملة وتجردهم التام عن الامور الدنيوية . قال لهم :

« لم تمض سوى سنوات قليلة منذ نياحة أبينا ، ويبدو اننا نسينا ذلك السرور وذلك الهدوء اللذين نعمنا بهما تحت رئاسته حين كانت كل أفكارنا وكل أحاديثنا لا تدور الا حول كلمة الله

التى هى أحلى من الشهد ، كنا نعيش غالبين من محبة الامور الارضية ؛ وكان حديثنا عن السماء أكثر منه عن الارض . ومثلما يجرى لسان قد تجمد من البرد حتى يشعر بنعمة الدفء ، كذلك كان يزيد بحثنا عن الله فى حرارة اشتياقنا ، فيزيد تذوقنا لحلاوة حضوره وجوده الذى لا ينطق به ، عندما نسعد بلقائه . واما اليوم فى اية حالة نرى لما اصبحت الامور؟ ألم نبتعد عن الله؟ فلنرجع إليه ونأمل انه سوف يغير قلوبنا بفعل رحمته العظيمة » .

كان يكلمهم كذلك ، وكان مقتنعاً جداً بما يقول ، حتى السابت دموعه ، حتى ابكى الحاضرين . وبعد ذلك بقليل شرع فى زيارة الاديرة ، يصحبه بعض الرهبان ، وكان يستخدم كل المهارة التى توحى بها المحبة لكى يعيد النفوس إلى الوحدة المشتركة ، ونجح جداً ، حتى دعا أخيراً « ابولون » رئيس دير « منكوز » ، إلى العودة إلى النظام الديرى الذى كان قد ألغى إتباعه فى ديره ، وكانت تلك هى العقبة الرئيسية فى طريق السلام . وهكذا عاد التنسيق التام ، وخزى عدو الارواح الذى كان قد اشعل نار الانقسام .

امتيازه فى قيادة النفوس : ـ وكانت وداعته واعتداله معروفة فى كل الاديرة ، فكان الرهبان يثقون فيه جداً حتى أنهم جميعاً كانوا يلجأون إليه ويعترفون له بأفكار قلوبهم الخفية دون ما

حرج . ومن ناحيـــة أخرى ، كان يعزيهم ويشجعهم ويقويهم ويعطيهم الطرق القوية للصمود امام تحارب إبليس ، وكان يعالج جراحاتهم الداخلية بكل مهارة الطبيب الروحانى المحنك فى فن قيـــادة الارواح .

وكان محباً وصبوراً فى معاملته الذين يراهم لا يستفيدون بما فيه الكفاية من نصائحه ويهملون أمر خلاصهم ، فلا يفتر عن وعظهم ، ويستخدم لاجل التأثير عليهم التأمل فى حقائق الإيمان المخيفة بالاكثر ؛ وفوق كل شىء كان يلجأ إلى الصلاة لكى ينال من الله اصلاحهم ؛ لأنه كان متيقناً انه إذا تركهم بسبب الصعوبة التى يجدها فى جعلهم يثوبون إلى رشدهم ، فأن الله سوف يحاسبه عن خسارتهم وعن خسارة الآخرين الذين يمكن ان يقتدوا بهم . فكان دائب السعى نحو خلاص الجميع ، مستخدماً فى ذلك كل نشاطه ، وكان يعمل دون ان يفكر فى راحته . وكان يقول :

« أنها مسئولية كبرى أن يكون على المرء ان يقدم حساباً عن نفسه ؛ فكيف يكون الحال إذا كان عليه ان يقدم حساباً عن كثـــيرين ؟ » .

ومع ذلك فأنه بالرغم من كل هذا الاهتمام ، وبالرغم من العمل المتواصل الذى كان يقوم به ، فإن ذلك الرجل الذى بلغ

الغاية فى تواضعه لم يكن ليعتقد انه يقوم بمسئولياتـــه كما يجب ، مؤكداً على الدوام انه بعيد جداً عن بلوغ قدرات الرئيس الأمثل . وبالاخص كانت له هذه المشاعر عندما كان يقارن بين نفسه وبين أبيه الطوبارى القديس أنبا باخوم ، ولذلك كان يذكر الرهبان باستمرار بفضائل أبى الآباء القديس وتعاليمه ، حتى يعطى وزناً لآرائه لا يرجحها الا ان تستند إلى سلطة هذا القديس العظيم .

صلته بالقديس اثناسيوس الرسول : ـ وقد أظهر إحترامه الأساقفة إيمانه وتواضعه ، لأنه كان يعتبرهم خلفاء الرسل وآباء فى المسيح يسوع . وكان قد أخذ عن القديس باخوم إحترامه العميق للقديس أثناسيوس ؛ وفى هذا الموضوع كان يقول لرهبانه أن عليهم ان يتذكروا ما لاحظه القديس مؤسس إديرتهم أثناء إحدى المقابلات ؛ وهى ان الله قد اظهر ثلاث عجائب فى زمانهم فى مصر ، من أجل تعزية ومنفعة جميع المتعبين :

(١) أتى القديس أثناسيوس كحمام شجاع عن الإيمـــان بيسوع المسيح .

(٢) أتى القديس أنطونيوس كمثال كامل لحياة التوحد .

(٣) وجاء نظام طابنيسى ليكون قاعدة لكل الذين يريدون أن يعيشوا الحياة الرهبانية .

وحالما أقاموه رئيساً ، أرسل اثنين من رهبانه ، وهما تيوفيلس وكوبريز Coprez إلى القديس أثناسيوس لكي يقدموا له فروض الطاعة والولاء . وعند عودتهما ، احضرا من الاسكندرية شاباً عمره سبع عشرة سنة يدعى أمون Ammon وكان بعد اعتناقه الإيمان ، قد قرر أن يحيا حياة التوحد عندما سمع القديس أنبا أثناسيوس يمتدحها في احدى خطبه . فرأى أولا أن يضع نفسه تحت قيادة راهب من صعيد مصر كان موجوداً في ذلك الوقت في الاسكندرية . ولكنه لما استشار أحد كهنة المدينة عن خطته ، حذره لأن ذلك الراهب كان هرطوقياً ، ونصحه بأن يذهب بالحرى إلى القديس تيودوروس .

للقديس أمون له :- وعن أمون الذي صار أسقفاً فيما بعد ، علمنا بعض أعمال قديسنا ، من رسالة طويلة وجهها إلى الأنبا تاوفيلس بطريرك الاسكندرية ، بناء على طلبه ، بعد زيارة القديس تيودوروس ، يروى فيها ليس فقط ما سمعه عنه ، بل أيضاً ما رآه هو نفسه وسمعه أيضاً .

يقول أنه عندما وصل إلى «بابو» ، جاء القديس تيودوروس لاستقباله عند الباب ، وسأله بعض الأسئلة ، ثم ألبسه ثوب الرهبنة ،

وأدخله في مكان اجتماع الاخوة وكان عددهم ستمائة ، وأجلسه بالقرب منه تحت نخلة .

ثم يضيف انه كان هناك مندهشاً ومتعجباً لرؤية النظام الجميل الذي كان سائداً في مثل هذا الجمع الغفير من الرهبان ، وانه بينما كان جالساً بالقرب من القديس ، رأى الكثيرين من هؤلاء الرهبان يقومون الواحد بعد الآخر ويقتربون منه يرجونه أن يبين لهم نقائصهم امام الجميع . وعندئذ كان تيودوروس يقول لهم بعض فصول الكتاب المقدس الذي يتفق وحالتهم الخاصة ، فكان هؤلاء الرهبان يعودون إلى أماكنهم والدمع يترقرق في أعينهم والندم له وخز في قلوبهم . أن البعض كانوا متأثرين جداً حتى كانوا يذرفون الدموع السخينة ويحملون الجالسين بجانبهم يذرفون الدمع معهم .

وكان من ضمن الذين جاءوا يرجون الأب القديس أن يقول لهم عن نقائصهم ، واحد يدعى « باتلولى » Patelloli لاحظه أمون . قال له القديس كلمات الرسول بولس هذه : « فيجب علينا نحن الاقوياء أن نحتمل أضعاف الضعفاء ولا نرضى أنفسنا » رو ١٥ : ١ ؛ ولكنه أعلن بعد ذلك إلى الاخوة أن هذا الراهب الصالح مرهوب جداً من الأرواح الشريرة .

لم يكن فقط عن طريق معرفة اختبارية لاخـــلاق هؤلاء الرهبان بقوم القديس بعمل تطبيقات مضبوطة الأقوال الإلهية تناسب حالة كل واحد منهم ، بل كان ذلك بالحرى عن استنارة فائقة الطبيعة يعطيه الله ما يبطنون. ولم يفته هذا الاجتماع حتى ظهر بوضوح أن روح الله كان يسكن فيه ، لانه تنبأ عما كان مزمعاً أن يحدث قريباً فى الكنيسة وحدث بالفعل وسنأتى لذكر ذلك عن رواية القديس أمون الذى سمعه .

نبوة : - كان أحد الرهبان يقترب منه كالآخرين ، فرآه لجأة يصمت صمتاً عميقاً ويتطلع إلى السماء ، ثم يقوم من مكانه . فنهض كل الاخوة وأحاطوا به ، إذ فهموا من ذلك أن لديه نصيحة هامة يسديها إليهم . فقال لهم حينذاك :

« لا أعرف إذا كان الذين لايزالون جسدانيين يدرون بما أقول عندما يسمعون ، ولكنى أعلنه لهم طالما أن الله هو الذى يأمرنى بذلك . قال أن الاضطهاد الذى أشعله الذين يقولون أنهم مسيحيون مثلنا (وكان يتكلم عن الاريوسيين) سوف يزداد جداً ، ويجر الكثيرين إلى الهلاك الأبدى . وعندما يشتعل الاضطهاد أكثر من أى وقت ، سوف يقوم أمير وثنى ويعلنها حرباً دموية أخرى ضد المؤمنين الذين تحت سلطته ، ولن يترك شيئاً من أجل

هدم الدين ؛ ولكن يسوع المسيح سوف يقلب خططه ويخزيه . لذلك يلزمنا ألا نفتر عن الصراخ نحو الله حتى يرحم كنيسته ، ويمنع برحمته هلاك عدد كبير منها » .

وكان ضمن الذين يسمعونه أخ يدعى « الوريون » Elurion ، ورغب أن يعرف متى تحدث هذه الأمور ، وترجى أمون أن يسأله ؛ ولكن الراهب الجديد الشاب لم يجسر على ذلك احتراماً له وخجلا . وأخيراً بعد إلحاح « الوريون » سأله وكان قد أكد له أن القديس سوف يوافقه. ولما سأله ، رد القديس تيودوروس رداً تضمنته نبوة تعزى إليه شخصياً ، قال ان ما يقلقهم به وشيك أن يتم خلال سنين قليلة ؛ وسيرحم الله كنيسته أخيراً ؛ وسينتهى إضطهاد الأريوسيين عند نهاية إضطهاد الوثنيين ؛ وانه (أمون) سوف يرى بنفسه هذه المآسى وما سيعقبها من الأحداث الطيبة. وقد تحقق ذلك :

(١) طرد القديس أثناسيوس من الاسكندرية ، وصب الأريوسيون غضبهم أكثر من أى وقت على الأرثوذكس .

(٢) تودى يوليانس الكافر امبراطـــوراً وسط هذه الاضطرابات ، واضطهد الكنيسة وقرر أن يقضى عليها تماماً .

(٣) خلفه « جوفيان » الأمير الأرثوذكسي وأعاد السلام إلى الكنيسة .

وانتهى الاجتماع الروحي الذي تكلمنا عنه بهذه النبوة ؛ وبعد ذلك قاموا للصلاة ، ثم صرف تيودوروس الاخوة ، وسلم أمون لأيدي تيودوروس الاسكندري ، وهو الذي كان القديس أنبا باخوم قد جعله رئيساً على دير به حوالي عشرين متوحد يونانيّ ، وكان « اوزون » Ausone وكيلا له . وأوصاه الأب القديس أن يعدّ في تعليمه الكتب المقدسة ، لأنه لا يلزم أن يبقى طويلا في الدير ، وانه معين لخدمة الكنيسة في الكهنوت ، كما أعلمه الله .

ميزان القلوب :- ووجد أمون أولا صعوبة في الاعتقاد بأن القديس يمكنه أن يتدبر أسرار القلوب ، وسأل « اوزون » Ausone إذا كان من الممكن أن يمنح الله هذه النعمة للناس ، وإذا كانت هناك براهين على ذلك في الكتب المقدسة . فرد عليه بأنه سيختبر ذلك بنفسه عندما تتهيأ الفرصة فيعلن له تيودوروس بوضوح ما يعتقد أنه خفي عليه ؛ ويبين له من فصول عديدة من الكتاب المقدس أن ذلك ليس مستحيلا ، وأنه توجد أمثلة لذلك . وسرعان ما اختبر أمون ذلك بنفسه .

في ذات ليلة اضطر أمون للخروج من الدير لأمر ضروري ، فسمع في الحال تيودوروس ينادي به . ويعترف بأنه ارتعب من ذلك ، وبالرغم من أنه لم يكن مرتدياً رداء الكتان ، إلا أنه وجد نفسه يعرق كثيراً . واطاع صوت أبيه ، وذهب إليه فوجده يؤنب أحد الرهبان الطيبين (من طيبه) يدعى « أماى » Amai بشدة . لأنه بدلا من أن يحارب الأفكار التي يوسوس بها الشيطان إليه ، كان يقبلها باختياره . وكان تفصيلها من الوضوح بحيث أن ذلك الأخ لم يمكنه أن يعارض ، فسقط عند قدميه وطلب منه ان تكون له المغفرة من عند الله . ولكن ندمه لم يبدو خالصاً تماماً ؛ لأنه بدلا من ان يصلح ذاته ، اخذ يفكر في ترك الدير ؛ ونفّذ ذلك بعد أربعة شهور لكي ينضم إلى الجيش . ولكن سرعان ما لحقه غضب الله الذي انذره به القديس ، ومات بعد أقل من سنه بعد مرض أربعة شهور .

شفاء المرضى :- وبعد ذلك ذهب أمون مع القديس إلى طابنيسي حيث شهد شفاء امرأة شابة متزوجة كان الناس يظنون انها تسممت بنوع الحمأ ، ويئس الأطباء من شفائها . وكان أبوها حزيناً على ما أصابها ، فحضر إلى الدير ومعه ثلاثون شخصاً من قريته ، وارتموا معه عند قدمي تيودوروس ، وتوسلوا إليه أن

يذهب إلى بيت هذه المرأة لكي يطلب من الرب أن يشفيها ، فرد القديس تيودوروس أن الله موجود فى كل مكان ، وأنه إذا كانت إرادته أن تعود الصحة إلى هذه المرأة ، فإنه يستجيب فى كنيسة الدير . وذهب إلى هناك لتوه مع الرهبان ، وبعد الصلاة بارك الماء وأرسله إلى المريضة . وعندما أخذت منه بعض النقط القليلة برئت من مرضها . وحدث هذا الشفاء المفاجىء فى حضور عدد كبير من الناس ، وكان بينهم أحد الأريوسيين من الاسكندرية فمجد الله .

يدوس الأفعى : — وبعد بعض الوقت عاد تيودوروس إلى « بابو » Pabau ، وأخذ معه حوالى مائة وعشرين راهباً لكى يذهبوا إلى جزيرة فى النيل لكى يقطعوا بعض الأغصان التى كانوا يستعملونها فى صناعة الحصير . ومكث هناك عدة أيام ولم يهمل أن يقوم فى كل ليلة بعقد الاجتماع الروحى كما لو كان فى الدير . وذات يوم أرسلا بينما كان فى الاجتماع ، تسللت أفعيان صغيرتان حول رجليه فكان فى خطر محقق ربما يلدغ . فلم يشأ أن يقطع حديثه خشية أن يضطرب الاخوة ، ولكنه وضع قدمه فوقهما ومنعهما مدة حديثه ، وبعد ذلك قتلوهما .

حول طرد أحد الرهبان : — ثم قال للاخوة أن ملاكاً ظهر

له ، وقال له اسماء بعض الرهبان الذين لايهتمون بأمر خلاصهم بما فيه الكفاية ، وأحدهم موجود حالياً فى « بابو » ، وقد أمر الله بطرده من الدير .

ولم يؤخذ هذا التصريح من الجميع مأخذ الأمر المطاع . فإن « سلفان » Silvain وهو ايغومانس رئيس جماعة مكونة من حوالى اثنين وعشرين متوحد ، وكان وكيله يدعى « لينوفون » Linuphon ، وكان مقاريوس أخو قديستنا من ضمن الرهبان الذين يرأسهم ، « سلفان » لم يرق له هذا التصريح ، واعتبره من الحماقة بمكان مبعثه شعور بالمجد الباطل ، وقال فى نفسه :

« أليس هذا هو أخو مقاريوس الموجود عندى تحت قيادتى ؟ أليس للاثنين والدة واحدة ؟ فمن أين له هذا الوهم ؟ ان مقاريوس أكثر منه تواضعاً » .

ولكنه بينما كان يفكر بهذه الامور فى ذهنه ، رأى أمامه رجلا مرعباً يقول له : « اهكذا تتقصك مخافة الله حتى تحتقر خادمه بمثل هذا ؟ » . وفى نفس الوقت لطمه على خده فسقط مغشياً عليه . ورآه الرهبان يسقط صامتاً فاقد الوعى ، ولكنهم لم يعرفوا سبب ذلك . فحملوه فوق سرير إلى « بابو » ، وهناك بكى كل الاخوة لهذه الحال ، ولا سيما تيودوروس الاسكندرى

وبيكوز Pécus ، وبسامفيوس Psamphius ، وبسنتايس Psentaese ، والوربون Elurion ، وايسيذوروس Isidore وهم من الرهبان العظام فى الفضيلة ومعروفون فى النظام الرهبانى ، فصلوا إلى الله صلوات طويلة ، مصحوبة بالدموع والتنهدات لكى ينالوا من صلاحه الإلهى أن يعود الراهب إلى حالته الطبيعية .

ولم تظهر عليه علامات الحياة الا بعد ثلاثة أيام عندما نطق بالكلمات التالية وهو يتنهّد : « مبارك الرب الذى علّمنى ، واشفق علىّ » . فتنزّى كل الرهبان جداً عندما رأوه قد عاد إلى وعيه ، وقدموا معه صلوات الشكر لله ، واسرعوا باحضار بعض الطعام له ، لأنه لم يكن قد أكل شيئاً حتى ذلك الوقت .

وفى اليوم التالى عند الفجر ، إذ كان فى حالة أفضل تسمح له بالكلام ، طلب ان يجتمع كل رهبان الدير ، وإذ رآهم مجتمعين حول فراشه ، أعلن لهم الحكم الذى كان كوّنه فى ذهنه ضد تيودوروس ، وكيف عوقب على ذلك ، وكيف اطلعه الشخص الذى ظهر له ، وإنه فى اللحظة التى أخذ فيها هذه الطعنة فقد كل شعور ، ومنذ ذلك الحين لم يستطع ان يسمع شيئاً ، ولا حتى ان يعرف كيف نقل من الجزيرة إلى الدير ، مما جعل الحاضرين يقدمون لله صلوات شكر جديدة .

ورجع القديس تيودوروس بعد بضعة أيام إلى « بابو » ، وبعد ان تكلم مع الأخوة ، طلب منهم ان ينتظروا قليلا حيث كانوا مجتمعين ، وذهب بصحبة أثنين آخرين إلى صالة الطعام . وهناك أمسك براهب شاب ، وهو الذى قال الملاك له عنه ان يطرده من الدير . وانتحى به ناحية وطلب منه بالحاح كثير ان يعترف بالخطايا التى أرتكبها ، ولكنه عندما رأى انه يرفض الاعتراف ، بدأ يقولها له هو نفسه ، كما لو كانت خفايا ضميره مكشوفة أمام عينيه . وإذ رأى الراهب ان القديس يقول الحق ، وانه سوف يستمر فى سرد كل خطايا حياته الشريرة ، لم يستطع ان يحتمل التأنيب أكثر . فارتمى عند قدميه يرجوه الا يقول أكثر من ذلك ، وترك الدير من تلقاء نفسه ، ولكنه قبل أن يخرج اعترف الاخوة المجتمعين أنه يستحق طرد القديس له من الدير ، وأن لا أحد سوى الله يمكنه أن يعلن له تفاصيل سلوكه الاجرامى .

اصلاح الرهبان : — لم يتوقف قديسنا عند ذلك الراهب . وذهب ليفحص بالرهبان الآخرين الذين أعلمه الملاك عنهم أنهم فى حاجة إلى اصلاح . وفعل ذلك أثناء الليل لكى يوفر عليهم الخزى الذى يلحقهم لو عرف الاخوة بحالهم . فأعلن لكل واحد

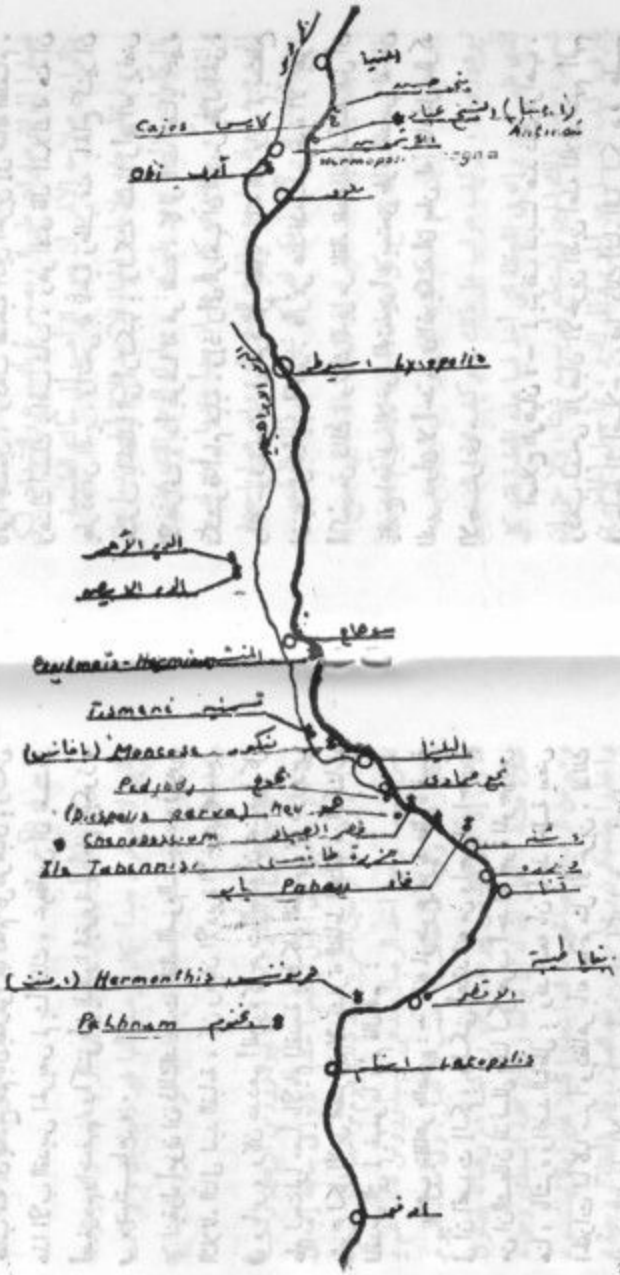
Cajos
Obi
Hermopolis Magna
Lycopolis
Oxyrhynchus-Hermopolis
Tismeni
Pedjadi
(Diospolis parva)
Coptos
Ta Tabennisi
Pabau
(Hermonthis)
Pabhoum
Thebes

منهم خطاياه التي أعلن له الله أنهم ارتكبوها منذ عمادهم . ولم يستطع أحد منهم الانكار ، وشعروا بندم شديد حتى ان معظمهم طلب منه ان يسمح لهم بأن يعترفوا بها أمام كل الرهبان ؛ ولكن هذا الأب القديس الحريص لم يشأ ذلك ، خوفاً من ان يعثر أصغرهم واضعفهم ، واكتفى بأن يذهبوا ليقروا بها أمام « بيكوز » و « بسنتايز » .

يقول أمون ان ذلك قد حدث أثناء الصوم الكبير . وفي يوم الثلاثاء التالي لعيد القيامة ، كان رهبان الأديرة الأخرى مجتمعين في « بابو » . وكان عددهم ألفين ، كما جرت العادة أن يجتمعوا كل عام ليحتفلوا معاً بالأيام المقدسة ؛ فكان القديس تيودوروس يشرح لكل الذين يحضرون لاستشارته النقاط المختلفة من الكتاب المقدس التي لم يفهموها ، ثم قال لهم :

راهب يتظاهر بالصوم : — « انه لموضوع تعزية عظيم بالنسبة لي ان اتحدث إليكم ؛ ولكني أعتقد انه من واجبي ان احذركم من ان الشيطان قد تسلل بيننا لكي يجرب أحد الأخوة الموجودين هنا ، بالشره والمجد الباطل ؛ وقد اقنعه بأن يأخذ خلسة بعض الخبزات ليأكلها سراً ويتظاهر بأنه صائم مثل الآخرين . لذلك انصح الضعفاء الا يفضوا يوماً دون ان يأكلوا فيما عدا يوم « الجمعة » .

حينئذ إذ رأى الراهب الذي يخصه هذا الكلام انه قد انكشف فعله ، حضر وارتمى عند قدمي القديس لكي يعترف له بخطيته ؛ ولكن القديس تيودوروس غطى وجهه برداته حتى لا يعرفه الآخرون .

وثمة خطية أخرى ارتكبها بعض الرهبان ، وهي يعتبرها الذين لا يعرفون جيداً كمال الرهبنة أنها غير ذات بال ، وكانت موضوع عظة ممتازة أعطاها قديسنا للأخوة ، ونرويها هنا كما رواها أمون .

تجنب المزاح والهذر : — أخذ تيودوروس أربعين راهباً معه لكي يذهبوا إلى الجبل ليقطعوا خشباً كانوا في حاجة إليه في الدير ، وارسل أربعين آخرين بعد ذلك بيوم واحد لكي يفعلوا نفس الشيء ، وعين أحد الرهبان ويدعى ايسيذوروس قائداً لهم ؛ وكان رجلا وديعاً ذا حكمة حسب الانجيل . وفي مساء اليوم الأول إذ كان القديس تيودوروس راكعاً مع رهبانه يصلون صلاة عشية ، أعلن الله له ان أربعة رهبان صحبة ايسيذوروس ، وهم من الرهبان الصالحين ، قد ابتعدوا قليلا عن زملائهم ، واخذوا يضحكون ويمزحون . وبعد الصلاة ، قام بالعظة الروحية ، ثم أخيراً قال لرهبانه انه يرى ان يجتمعوا في الدير يوم السبت .

وارسل اثنين من الرهبان إلى ايسيذوروس ليقولا له أن عليه ان يكون هناك هو أيضاً مع الاخوة الذين كانوا معه ، ولكنه لم يوضح له الأمر .

فذهب الجميع إلى « بابو » وجمعهم القديس تيودوروس في المكان الذى كانت تلقى فيه المحاضرات وكلمهم هكذا :

« انكم لا تجهلون يا اخوتى أن الذين يترهبون يجب أن يسلكوا بطريقة أكثر طهارة وقداسة من سائر البشر . يلزم أن تكون حياتهم ملائكية أكثر منها بشـــرية ، لأنهم إذ تركوا العالم وانكروا أنفسهم ، يلزم ألا يعيشوا إلا من أجل ذلك الذى مات وقام من أجلهم ، إذ انهم صلبوا أنفسهم باختيارهم معه . هذا هو روح حالتنا . لذلك تركنا أهلنا ولذلك نحن نتحد هنا فى جسد جماعى واحد . هكذا يجب أن يكون كل اجتهادنا فى اعتبار ربنا يسوع المسيح قدوة لنا ، حتى تضبط حياتنا حسب حياته ، وهو رئيسنا وهو الطريق الذى به يجب أن يسلك الرهبان . لذلك يجب أن نفتكر أن الله لم يعط الذين يرغبون فى الوصول إلى ملكوت السموات ، فقط الكتب السماوية لكى يثبتهم فى الإيمان بالمسيح يسوع وتكون لهم قاعدة من أجل خلاصهم ؛ بل انه أراد أيضاً

أن تؤثر فيها قداسة خدامه ومحبتهم كمثال قوى ، من أجل ثباتهم فى نفس الإيمان ، ومن أجل أن تكون لهم قدوة .

وانى أرى مع ذلك وأنا ألم أن بعضاً منـــا ، وقد بدأوا حسناً ، يسيرون الآن بخطى متأرجحة ، إن لم يكونوا قد سقطوا فعلا : ان أربعة من اخوتنا الذين كنا قد ارسلناهم لكى يقطعوا خشباً فى الجبل ، إذ اجتمعوا معاً بعيداً عن الآخرين ، ظنوا أنه مسموح لهم أن يستهزئوا فيما بينهم ، وان يقولوا كلمات مضحكة ، ولم يحذروا من انهم يحزنون الروح القدس فى نفوسهم ، وهو الذى اعلن بخطيتهم حتى إذا ما انتبهت عليها ، يتأملون فى داخلهم ويتوبون عنها بدموعهم وأنينهم . هل يجهلون ما قاله أرميا النبى؟

« لم أجلس فى محفل المازحين مبتهجاً . من أجل يدك جلست وحدى لانك قد ملأتنى غضباً . لماذا كان وجعى دائماً وجرحى عديم الشفاء يأبى ان يشفى » أر ١٥ : ١٧ - ١٨ .

هل نسوا ما قاله أيوب الصديق : « ان كنت قد سلكت مع الكذب أو اسرعت رجلى إلى الغش ... الخ » أى ص ٣١ .

أفلا يعلمون أن الله يعاقب عبيده على اخطائهم الصغيرة عقاباً ليس دون عقابه لهم على اخطائهم الكبيرة ، حتى يضمن بالاكثر خلاصهم ؟ ألم يقرأوا ما يقوله سليمان الحكيم : « لانه كصوت

الشوك تحت القدر هكذا ضحك الجهال ، جا ٧ : ٦ . وفي مكان آخر : «سمع الانتهار من الحكيم خير للانسان من سمع غناء الجهال» جا ٧ : ٥ .

هكذا يا اخوتي ، أناشدكم أن تكونوا أكثر يقظة على أنفسكم ، وتستفيدوا من نصيحة الرسول بولس عندما يقول : « لينحول فحكمكم إلى نوح وفرحكم إلى غم » يع ٤ : ٩ . خوفاً من أن تستحقوا هذا الحكم المخيف من الرب : « ويل لكم أيها الضاحكون الآن لأنكم ستحزنون وتبكون » لو ٦ : ٢٥ .

وقد ذهب في انذار المازحين إلى حد قوله : «قوموا أنفسكم باختيار أعمال التوبة. سلوا انفسكم طوعاً إلى التنهدات والبكاء ، لأن ذلك يؤول إلى منفعتكم العظيمة ، ويحميكم من الدموع التي ترغمون عليها في الحياة الأخرى. ضعوا انفسكم في حضرة الرب ، وقولوا له باخلاص القلب : « أجل يا إلهي اني مستعد للتوبة واحتمال العقاب الذي استحقه » .

هكذا كان الرأي للخلاص الذي اعطاه القديس تيودوروس إلى هؤلاء الأربعة رهبان الذين كانوا مختلطين وسط جماعة الرهبان ومنفصلين الواحد عن الآخر. فسجدوا في وقت واحد كأنما كانوا قد اتفقوا على ذلك ، واشهدوا على ندمهم بالتنهدات ، وتوسلوا

إلى الاخوة أن يصلوا من أجلهم ، فما أثر في كل الجماعة ؛ وانتفع هؤلاء الأربعة من هذا الدرس ، وخطوا خطوات عظيمة في الفضيلة ، وصاروا قدوة الآخرين .

السلطة والادارة : — لم يكن الأمر كذلك للراهب آخر يدعى موسى ، الذي استحق أن يسلم جسده الشيطان ، بعد أن سلبه روحه بتجمده في الخطية . كان القديس تيودوروس قد أرسله مع اخوة آخرين إلى جزيرة في النيل لكي يجمع بعض الأعشاب التي كانوا يستخدمونها في طعام الرهبان ؛ وبعد خمسة أيام أرسل يستدعيه إلى الدير . فرد أنه سيرجع مع الاخوة الآخرين بعد أن يجمعوا كل المؤن ؛ ولكنهم اجبروه أن يطيع.

وعند وصوله وجد الأب القديس بصحبة « بسنتايوس » و « ايسيذوروس » ، وكان متألماً جداً بخصوصه . وحالما وقع بصر القديس عليه قال له :

« يا أخي ، كنت أفضل أن يخبروني بموتك بدلا من ذلك الموت الذي تعده لروحك ! أن في ذلك بلا شك شراً أخف بكثير . أترانى أهملت في انذارك ؟ أو لم أعظك مراراً كثيرة في غرفتك لتترك عنك الأفكار الشريرة ولا تغذيها في ذهنك ؟ فكنت دائماً تقول ان هي الا من تدبير الشيطان . لكن ألم اخبرك

انك أنت نفسك الذى تستدعى الشيطان بفساد قلبك ، وتقدم له الوسيلة ليجربك أكثر مما يعطيك الفرصة للتجربة ، فانظر فى أى حالة محزنة صرت الآن، وماذا جنيت من سلوكك فى طريق الشر».

وكان موسى عنيداً فى شره ، وتخبط ينتحل لنفسه الاعذار من جديد ويهون من خطيته . ولكن القديس، فى استنارته العليا، لمح بالوقت والمكان الذى فيه أخذ يفكر باختياره الافكار التى يؤنبه عليها ؛ وعندما أراد ايضاً ان يرد بأن هذه لم تكن إلا من الشيطان ، وليس له فيها أى نصيب ، فكان رد القديس عليه :

« حتى الآن لم يكن الله قد سمح بأن يجربك فى جسدك ؛ ولكن بما أنك أردت أنت نفسك ان تسكنه فى داخلك ، فاعلم انك لا تصلح بعد لنظامنا وانى مضطر أن اطردك منه » .

وأمر فى نفس الوقت أربعة اخوة من الشبان الاقوياء أن يخرجوه خارج الدير ويقتادوه إلى القرية التى جاء منها . ولكنه حالما خرج من الدير امتلكه الشيطان ؛ واحتاج الاربعة إلى كل قوتهم لكى يقتادوه إلى قريته ، واضطروا ان يربطوه بقيود قوية بسبب شده ثورته .

عن نياحة راهب : ـ ان كان الآب القديس قد حزن على خسارة هذا الراهب، إلا أن الله عوضه عن ذلك بالتأكيد الذى

اعطاه له عن خلاص راهب آخر . فبينما كان ذات مساء مع الاخوة ، ظهر لجأة متهللا وقال :

« انى اخبركم يا إخوتى ، ان الله قد وهب الآن نعمة عظيمة لأخينا « كازور » Cazur الذى يقيم فى دير « بطولمايس » Ptolémaïs (المنشية حالياً بمحافظة سوهاج)؛ إذ تخلص الآن من سجن جسده ، وقبلت روحه فى السماء حيث تتمتع بمجد عظيم، ليس فقط لانه حفظ نفسه دائماً فى الإيمان الحقيق ؛ ولكن لأنه أضاف إلى طهارته العظيمة زينة الفضائل الاخرى . وإذا كنت قد اضطررت فى بعض المرات إلى تأنيبه من أجل أخطاء صغيرة ارتكبها ، فإن الله قد طهره منها بواسطة المرض والاحزان الاخرى التى أرسلها إليه » .

كانت تلك الاخطاء التى يشير إليها هى بعض الاهمال . اهمل « كازور » فى صلوات الليل ، وكان قد أنبه فى « بابو » قبل أن يرسله إلى دير « بطولمايس » . وبعد ثمانية أيام حضر راهبان من هذا الدير ليخبروا الجماعة بموت « كازور » ، ووجدوا أنه لفظ النفس الأخير فى نفس اللحظة التى قال فيها الآب القديس ذلك عنه.

الافتقاد والارشاد : ـ كان فى « بابو » راهب يدعى « باتكلس » Patquelse ، كان قد تزوج قبل دخوله الدير ، واحضر معه ابنه

إلى الدير . وذات يوم بينما كان القديس مع الاخوة ، قال لهم « لبسارفيوس » Psarphius وهو أحد كبار رهبان الدير ، أن يذهب ليحضره مع ابنه وراهب آخر كان فى ثلاثته . وعندما حضر قال له :

« أى تعليم ذلك الذى كنت تعلم به فى المساء هذا الشاب عندما كنتما تتحادثان ؟ » قال : « ليس هناك ثمة تعليم آخر اعلمه سوى مخافة الله ؟ » ، قال له القديس تيودوروس :

« حذار مما تقول ، فإن الرب أعلن بواسطة ملاك بالحديث الذى جرى معه . فلا تخش أن تعلنه هنا أمام الجميع ، ان كان تعليمك مستقيما » .

فلم يرد « بانكلس » ؛ ولما رأى الأب القديس أحجامه عن الرد ، التفت نحو الرهبان الآخرين وقال لهم : لقد حدث هذا الأخ الشاب أننا لا نقوم بأجسادنا ، زاعماً أن الجسد فاسد . ثم أمره أن يقر وسأله : « أليس هذا ما كنت تعلمه ؟ » .

فصرخ ابنه قائلا : « نعم ولقد أراد أيضاً أن يقنعنى بذلك فى الليلة السابقة » .

فلما رأى القديس أنه مصرّ على ضلاله ، لم يشأ أن يحزنه ، بل أن يعلمه ويصلحه ، وأثبت له من فصول كثيرة من الكتاب

المقدس ، اننا سوف نقوم كلنا بأجسادنا فهى خالدة إلى الأبد بعد القيامة ؛ حتى اقتنع بهذه الحقيقة من كل قلبه ، وارتمى عند أقدام الاخوة متوسلا إليهم بدموع أن يطلبوا من الله أن يغفر له خطيئته ، واعترف بها امامهم بكل معانى الندم الحقيق .

شفاء راهب عضه ثعبان : — يروى أيضاً القديس أمون أن القديس تيودوروس ذهب فى شهر نوفمبر إلى جزيرة فى النيل صحبة رهبان كثيرين لكى يجمعوا خشباً للحرق ؛ وإذا بأحدهم ويدعى « باتريس » Patrice عضه ثعبان كبير ، وقد غرز أسنانه فى رجله بعمق لدرجة أنهم انتزعوها منها بصعوبة . واعتقد الجميع أن الراهب الصالح سيسقط ميتاً . ولكن القديس تيودوروس أسرع إليه وشفاه بعلامة الصليب . وكان امون حاضراً هذه المعجزة .

القبول عند الله

فى الأماكن التى يتعبدون فيها للمسيح يقبل الله توبة أولئك الذين حفظوا الإيمان الأرثوذكسى إذا كانوا قد بكوا على خطاياهم .

ويضيف أنه فى اليوم الثانى والعشرين من نفس هذا الشهر ، فى الساعة التاسعة جمع القديس كل الرهبان الذين حضروا إلى الجزيرة ، وقال لهم أنه مضى وقت طويل منذ علم من الله بهذه

الإجابة ، ويريد الله أن يعلنها لهم أخيراً . وهو أنه في الأماكن التي يتعبدون فيها ليسوع المسيح ، يقبل الله توبة أولئك الذين حفظوا الإيمان الأرثوذكسي ، إذا كانوا قد بكوا على خطاياهم ، وهم في عداد الذين قبلهم الله ويلزمهم أن يقدموا صلوات الشكر .

اعلان الله له : — وأكد هذا الاعلان إعلان آخر مع أدلة محسوسة ، مما جعل الاخوة لايشكون . فبعد ساعتين من الوقت الذي كلمهم فيه القديس ، قال لاربعة رهبان أن يذهبوا إلى رأس الجزيرة لكي ينتظروا تيوفيلس وكوبريز العائدين من الاسكندرية على ظهر سفينة . فذهبوا للحال ولم يمض وقت طويل حتى ظهرت السفينة . وعن بعد حالما عرفوا تيوفيلس أشاروا إليه أن يقترب إلى الشاطىء لأن أباهم القديس موجود في الجزيرة . فاندهشوا كيف استطاع القديس أن يعرف سلفاً بحضور المركب ؛ ولكنهم تعجبوا أكثر ايضاً عندما حضر هو نفسه أمامهم وقبلهم بمحبة أبوية وقال لهم صراحة أنهم سيعدوا برؤية القديس انطونيوس العظيم .

رسالة القديس انطونيوس اليه : — فقد وصلت رسالة من القديس انطونيوس سلموها إليه ، وبعد أن قرأها القديس تيودوروس بارتياح عظيم ، تلاها على كل الاخوة ففرحوا جداً . وكان فرحهم لاينطق به عندما رأوا أنها تتضمن ما أعلن به القديس

انطونيوس ، وهو نفس اعلان أيهم القديس تيودوروس بشأن المغفرة التي يمنحها الله للتائبين الحقيقيين . وعند ذلك سجد الجميع وكانت جباههم إلى الأرض ، يبكون من الفرح بقبول توبة التائبين ومتعجبين من رحمة الله . وأخيراً قال القديس تيودوروس للقديس أمون أن يعلن يوماً ما رآه وسمعه بينهم في هذه المقابلة وفي المقابلات الأخرى لأجل مجد الله .

وفضلا عن الاعلانات المختلفة التي رواها القديس أمون كشاهد عيان ، فإنه يشير إلى اعلانات أخرى شهد بها « اوزون » و « الوريون » . ولن نضيفها هنا حتى نتجنب طول الحديث ، فإن ما قلناه كاف جداً ليبين كيف كان الله يكشف نفسه لهذا الرجل القديس .

الرؤى والاعلانات

لا يمكننا أن نفصل ما قاله هو نفسه بخصوصها ، والقواعد الممتازة التي اعطاها حتى لا نسيء فهمها أو ننخدع بها ؛ وفوق كل شيء يجب دائماً أن نفضل حكم الرعاة على الاعلانات الخاصة . يقول :

« يجب أن نستعمل في ذلك التحفظ الشديد ونحترس في التقدير من الغرور الباطل عندما تنال هذه المواهب ؛ فنحن في الواقع

لا شيء . فلا تأخذ أنفسنا باشتهاء الاعلانات بحـــرارة عندما لا ننالها ، فهذا يكون ايحاء من الشيطان يحمل كل تقوانا تذهب كالدخان ، كما حدث ذلك لاناس كثيرين .

لذلك فإن الذين رفعهم الله إلى هذه المراتب ، وكذلك الذين لم يخصهم بها ، يلزمهم جميعاً أن تكون مشاعرهم متضعة ، وأن يصلوا بخوف إلى الرب للخلاص وأن يعطيهم نعمة حتى لا يسلموا للعذاب الابدى . فإننا نرى فعلا أن أكثر الشخصيات قداسة لم يتصرفوا بخلاف ذلك . هلا يقول داود النبي : « احفظ نفسي وانقذني » مز ٢٥ : ٢٠ . وهلا يقول بولس الرسول أيضاً : « فأنقذت من فم الأسد » ٢ تى ٤ : ١٧ .

لاشك أننا بصدد عدو ماكر ذى حيلة ، وانه كثيراً ما يجيد التمويه بطلاء الضلال والكذب بمظاهر الحقيقة ، حتى أننا إذا كنا لا نملك موهبة خاصة للتمييز ، نكون فى خطر الانخداع . ولكن هل تريدون قاعدة أكيدة لكى لا ننخدعوا ، تلك هى الخضوع الكامل لله ولخدامه القديسين . وعلى ذلك ، يا اخوتى ، يجب أن تلاحظوا أن الله حسب نبوة داود النبي ، إذ أخذ طبيعتنا وجعل نفسه مرئياً بيننا ، لم يكتف بتعليمنا بفمه نفسه الإيمان الذى يجب أن يكون لنا ، وان يشهر لنا إلى طريق الخلاص الذى

يجب أن نسلك فيه ؛ ولكنه إذ صعد إلى السماء ، ترك الرسل خلفاء له ، وقد خلفهم حتى الآن الأساقفة كرعاة لنا وهم آباؤنا ، من أجل الغذاء الروحى لنفوسنا ؛ حتى أن الذين يتعرفون فيهم على صـــوت يسوع المسيح ويسمعونه ، أولئك هم الأولاد الحقيقيون ليسوع المسيح ، ولو لم يكونوا من الاكليريكيين أو من الرتب الكنسية » .

ويعلمنا هذا القديس ذو التجـــربة الكبيرة فى الرؤى والاعلانات التى لم ينلها أحد مثله ، ألا نحكم بخصوصها أبداً إلا وفقاً لقرارات الكنيسة ، وان نرجع حكم رجال الدين المعينين للتعليم على كل الاستنارات الخاصة .

خروج أمون الى الفرما : — لم يبق أمون معه سوى ثلاث سنوات . وبعد هذا الوقت ، إذ علم عن طريق الصدفة أن أباه كان قد بحث عنه فى أديرة مختلفة ، وأنه مات آسفاً لانه لم يستطع أن يجده ، وان والدته لم تتمر لانها لم تعرف بعد مصير ابنها ، طلب من القديس تيودوروس أن يعطيه اثنين من الرهبان ليذهب معهما لتعزيتها ثم يعود إلى الدير . ولكن القديس قال له أن والدته سعدت بالانضمام إلى الإيمان المسيحى ، وأما من ناحيته ، فإنه لا يلزم أن يعود بعد رؤيتها ؛ وأن إرادة الله هى أن ينفرد ضمن

المتوحدين القديسين الذين يسكنون صحارى نتريا ، مثل القديس أمون والقديس بامبون Pambon وآخرين كثيرين من ذوى القوى العظيمة .

فاستأذن أمون منه فى الانصراف وذرف دموعاً كثيرة . وتوسل إليه بكل محبته أن يصلى إلى الله من أجله ، وبعد أن رأى والدته ، انفرد على جبل نتريا ، كما أوصاه . والتحق بعد ذلك فى سلك الاكليروس ، وصار أخيراً أسقفاً .

تعليق النهوة : — وإن هى الا ستة شهور منذ أن مضى أمون إلى نتريا ، حتى بدأت تتم على التوالى كل الأمور التى تنبأ عنها القديس تيودوروس عن اضطهاد الاريوسيين ، وعن استبداد يوليانس الكافر ، وعن ارتقاء جوفيان العرش وهو الذى أعاد السلام إلى الكنيسة . وحالما طرد الاريوسيون القديس أثناسيوس من كرسيه ، تذكر أمون بسهولة أن القديس تيودوروس كان قد تنبأ بذلك ، وروى ذلك بالتفصيل للمتوحدين الساكنين فى منطقته ، وأضاف لكى يعزيهم أنه إذا كان الله قد أعلمه بأن الهراطقة سوف يستخدمون العنف ضد المؤمنين ، فإنه قد أعلمه أيضاً بنهاية ذلك .

ولكن إذا كانت رواية أمون قد خففت عنهم الهم ، فإن خطاب التعزية الذى أرسله القديس تيودوروس نفسه فى نفس

الوقت تقريباً قد زادهم سلاماً . وكان قد أرسل إليهم رسالة بواسطة أربعة اخوة ومعهم أمر بالبحث عن أمون فى برية نتريا ، وتسليمها له حتى يوصلها إلى الكهنة والشمامسة والرهبان فى هذه البرية وهى رسالة موجهة إليهم .

وتسلمها أمون فى يوم السبت ، وبعد أن قرأها ، أراها للكهنة ، وفى اليوم التالى قرأها بناء على طلبهم فى الكنيسة فى حضور كل المتوحدين . وكان القديس يشير فيها إلى أن الله سوف يكسر أخيراً شوكة الاريوسيين ، ويترأف على كنيسته ، وان الكنيسة سوف تعود إلى بهائها الأول ، وأنه إلى أن يحين ذلك الوقت يلزم احناء تلك الاوجاع بخضوع ، وختم الرسالة برجائه أن يخبروا كل الذين يعانون من اضطهاد الاريوسيين فى المنطقة . وقد قرّ هؤلاء الرهبان الأتقياء عندما تليت الرسالة . وأرسلها أحد الكهنة ويدعى « هيراقليد » Héraclide بواسطة الراهب « خريزوجون » Chrysogone إلى « دراكونت » Dracunte أسقف « هرموبوليس »[1] ونتريا ، وهو الذى كان الاريوسيون قد طردوه ، حتى يطيب قلبه بها فى منفاه .

---

(١) دمنهور الحالية ، وهى غير Hermopolis Mazna التى هى الأشمونين بمحافظة المنيا .

زيادة عدد الأديرة : – وبينما كان الرهاطنة يبذلون جهدهم لكي تضيق بالناس إذا صح التعبير ، حدود مملكة يسوع المسيح على الأرواح بنشر ضلالاتهم ، كان القديس تيودوروس يعمل جاهداً لنشر ملكوته بزيادة عدد الأديرة ، حيث يخدمون الله بكل أمانة .

لقد علمنا من سيرة القديس أنبا باخوم أن أبا الآباء العظيم هذا كان قد أسس تسعة أديرة :

(١) طابنيسى Tabennisi .

(٢) بابو Pabau .

(٣) كنوبوسكيوم Chenoboscium .

(٤) منكوز Moncose .

(٥) بخنوم Pachnum ، وقد سبق الاشارة إلى مواقع هذه الأديرة الخمسة .

(٦) تيبيه Thébé وكانت عربة تملكها عائلة القديس بترونيوس تلميذ القديس أنبا باخوم .

(٧) تسمنيه Tisméné بالقرب من بانوبوليس Panopolis القديمة أى بالقرب من اخميم الحالية .

(٨) كايس Cajos أو Caius بالقرب من أتصنا (قرية الشيخ عبادة) .

(٩) أوبى Obi بالقرب من الأشمونين . وقد اشترك فى تأسيس هذين الديرين الأخيرين قديسنا أنبا تيودوروس ، وقد بنيا بالقرب من هرموبوليس العظمى Hermopolis Magna وهى الأشمونين بخلاف هرموبوليس بارفا Hermopolis parva التى كانت مكان دمنهور الحالية .

وأضاف القديس تيودوروس إلى هذه الأديرة التسعة ديراً منذ السنة الأولى التى صار فيها رئيساً ، بالقرب من بطولمايس Ptolémais وهى المنشية الحالية بمحافظة سوهاج . وكانت قديماً من أكبر مدن الصعيد الأعلى . كما أسس ديراً آخر بالقرب من « هرموتيس » Hermutis أو « هرمونتيس » Hermonthis وهى أرمنت الحالية ، بين « لاتوبل » (اسنا) وطيبة (الأقصر) . وأخيراً أسس ديراً للراهبات فى « بشرية » Bechré التى لا تبعد عن « بابو » أكثر من نصف غلوة (فرسخ) ، وهو ثانى أديرة الراهبات فى النظام الديرى .

العادة أن يقوم بزيارة هذه الاديرة . وبينما كان موجوداً بالقرب من دير « كايس » Caius إلتقى فوق النيل مع الدوق « ارتيم » Artemeالذى كان لديه أمر من الامبراطور بالبحث عن القديس أثناسيوس والقبض عليه ، وذهب لذلك إلى بابو ظاناً أنه مختبىء هناك ضمن رهبان طابنيسى ؛ والمعروف عند الجميع أنه يحبهم جداً . فعرف فى الحال بواسطة اعلان سماوى نية الدوق ، وأعلن ذلك للرهبان الذين كانوا معه . فأراد هؤلاء ان يعودوا حالا إلى بابو لكى ينبهوا الاخوة حتى لا يكون هناك ما يخشونه من حضور « ارتيم » ؛ ولكن الأب القديس قال إنه طالما كانت زيارتهم للاديرة لاجل مجد الله ، فأنه يأمل فى رحمته ان يعتنى بدير بابو وبالاخوة الموجودين فيه ، وواصل طريقه إلى « كايس » .

ولم يخطىء الرأى ، فعندما وصل « ارتيم » إلى « بابو » ، دفع بجنوده إلى الدير أثناء الليل ، وإذ دخله مع رماة الرماح ، تسبب بادىء ذى بدء فى شىء من الاضطراب عند الاخوة ، ولكن سرعان ما هدأهم « بيكوز » . وسأل الدوق أين يوجد الأب الرئيس ، فرد « بيكوز » أنه يقوم بزيارة الاديرة . فقال : دعونى اتكلم إذن مع من يقوم مقامه هنا .

حينئذ تقدم « بسارفان » Psarphin ، وهو الرئيس الاكبر للنظام الديرى ، وإذ أخذه « ارتيم » على حدة قال له :

« عندى أمر من الامبراطور بالقبض على البطريرك أثناسيوس الذى قالوا لى عنه أنه حضر ليختبىء بينكم » .

فرد عليه « بسارفان » : « أننا كلنا نعتبر أثناسيوس أبانا منذ زمن طويل ، وله كل السلطة عندنا ؛ ولكنى لم أره ، ويمكنك مع ذلك أن تلقى نظرة فى الدير » .

وبحث عنه « ارتيم » فى كل الاماكن التى يحتمل ان يكون مختبئاً بها ، وإذ لم يجده ، طلب من الرهبان أن يقتادوه إلى الكنيسة ويصلوا من أجله .

ورأى الرهبان ضمن رفقائه شخصاً يبدو أنه أحد الاساقفة الاريوسيين ، وربما كان جورج الباتس الذى اغتصب عرش الاسكندرية بدون وجه حق . فردوا على « ارتيم » أن أباهم القديس منعهم من الصلاة مع اتباع الاريوسيين ؛ وهكذا انصرفوا . وذهب « ارتيم » وحده ليصلى فى الكنيسة ، ولكنه خرج منها والدم ينزف من أنفه ، وهو مرتعب للغاية . ولم يعلموا بالضبط ماذا اصابه ، إلا أنهم سمعوه يقول أنه رأى رؤية وكاد يموت فزعاً . والسحب من الدير فوراً . وإذ رجع القديس تيودوروس

إلى الدير ، قدم صلوات شكر كثيرة لله ، عندما علم بما حدث .

اضطهاد يوليانس الكافر : — وبعد ذلك تحققت نبوة القديس عن إضطهاد يوليانس الكافر . كان هذا الأمير قد ثار فى بلاد الغال Gaules (فرنسا) ضد « قونستنس » Constance ؛ وبعد أن نجح فى ثورته ، صار سيداً على كل الامبراطورية . ومع أنه فى البداية كان قد أرجع الأساقفة الذين نفاهم سلفه ، إلا أنه سرعان ما أظهر حقده الدفين ضد يسوع المسيح وكنيسته .

وإذ تلقى القديس أثناسيوس الأمر بالخروج من الاسكندرية ، وحتى من كل مصر ، وعلم أنهم يبحثون عنه ليقبضوا عليه ويقتلوه ، ذهب إلى أعماق الصعيد الادنى ، حيث حضر لمقابلته فى نفس اليوم القديس « بامون » Pammon أبو المتوحدين فى هذه المنطقة ، وقديسنا تيودوروس ، كأنهما على موعد . وتشاور البطريرك القديس معهما فيما يجب عمله لكى يهرب من غضب الأمير ، وتقرر أن يذهب إلى أحد أديرة طابنيسى ناحية « هرموبوليس » (الأشمونين) حيث يكون فى أمان أكثر من أى مكان آخر .

فركب معهما المركب الذى كان يستعمله تيودوروس ، وغطوه حتى لا يعرفه أحد . ولأنه كان يلزم السير ضد التيار ،

وعلاوة على ذلك كانت الريح عكسية ، لذلك كانوا يتقدمون ببطء ، واضطر رهبان طابنيسى أن ينزلوا إلى الأرض لكى يسحبوا المركب .

وفى هذا البطء الذى يعرض البطريرك القديس لخطر انكشاف الأمر ، كان يصلى إلى الله سراً أن يحفظه . وكان « بامون » Pammon يقول له بعض كلمات معزية ليشجعه ؛ ولكنه إذ كان قوياً بنعمة الرب قال له :

« انى اؤكد لك انى أشعر بالهدوء فى هذا الاضطهاد مثلما أشعر به فى وقت السلام ، متفكراً انى انالم من أجل يسوع المسيح ، وان قلبى لمستعد برحمته لكل ما يريد أن يفعله بى ، حتى إذا اضطر الأمر إلى أمر الآلام فانى اعتبرها نعمة عظيمة يمنحها لى » .

وفاة يوليانوس : — وبينما كان يتكلم هكذا ، رأى القديس تيودوروس يبتسم وهو ينظر إلى « بامون » ، وأن الأخير يبتسم كذلك . فسألهما عن السبب ؛ وطلب رئيسا الرهبان الواحد من الآخر أن يقول للقديس الناسيوس عن سبب ابتسامته . وأخيراً قال له القديس تيودوروس :

« لقد قضى الامبراطور يوليانوس الآن فى بلاد فارس ،

ويمكن أن نطبق عليه ما قاله الكتاب المقدس، أن الرجل المتفاخر لاينجح أبداً. وبالك بعده امبراطور مسيحي شهير جداً ؛ ولكنه سوف يعيش قليلا (كان هذا جوفيان Jovien) . لذلك لايلزم أن تذهب لتختبىء في الصعيد ؛ بل الأولى أن تذهب سراً إلى البلاط لمقابلة هذا الأمير . وسوف يستقبلك بإكرام ويعيدك إلى كنيستك : وبعد ذلك يموت » .

هذا ما رواه القديس اثناسيوس بعد نياحة قديسنا تيودوروس ، في كنيسة الاسكندرية العظمى بحضور أمون وكثيرين من رجال الاكليروس .

وفاة بعض الرهبان : — مر بعض الوقت بعد أن تنبأ القديس تيودوروس بهذه الأمور للبطريرك القديس ؛ ثم كانت وفاة الرهبان ، فلم يكن يمر يوم إلا ويموت واحد أو اثنان . وإذ كانوا معتادين أن يذهبوا بهم ليدفنوهم في الجبل، وكان النيل بدأ يفيض على الأراضي ، ولم تكن المياه عالية بما فيه الكفاية للذهاب بالمركب ، كانوا متحيرين كيف ينقلون من يموت . وسألوا القديس. فكان رده أن الله سوف ينظر إلى إيمانهم ويوقف الشر . وحدث ذلك كما قال سلفاً ، فلم يمت أحد طوال بقية مدة الفيضان .

وعظه وتعاليمه : — ولكن هذا القديس العظيم الذي كثر تواضعه مع ماحباه الله به من المواهب السماوية ، وكأنه خشي أن توحي هذه المواهب العجيبة بفكرة عالية عنه للرهبان ، أخذ يحدثهم عن التجارب التي تتعبه ، وقال لهم أنه يحسب لها حساباً حتى لايتورط فيها فيرفضه الله ؛ إذ أن العدو يحاصره باستمرار فلا يترك له لحظة راحة . وأضاف قائلا :

« إذا كان الملائكة قد سقطوا ، وإذا كانت هناك سقطات في الأنبياء والرسل وتلاميذ بولس الرسول، فكيف لانخاف نحن ؟» .

واستطرد في حديثه عن أخطار هذه الحياة ومخاوفها ووجوب السلوك بالحيطة والحذر ، فكان يقول لهم :

« تمثلوا جبلا مرتفعاً إلى السحاب ، يمتد من الشرق إلى الغرب ، ولا يوجد فوق هذا الجبل سوى طريق واحد عرضه أربعة أذرع ، وعلى جانبيه هوات . وتدبروا الانسان الذي تجدد بالمعمودية ، ودخل الحياة الرهبانية وكان متسلحاً بعلامة الصليب وهو يسير على هذا الدرب نحو الشرق . انى متأكد انه سواء اعتبرنا ضيق الطريق أم عمق الهوات ، فإنه يكون في خطر الهلاك إذا حاد عن الطريق المستقيم .

عن السلوك السوي للخلاص : — لاحظوا أيضاً (ويريد

أن يشير بذلك إلى التجارب التى تتعبه) أن هوة اليسار هى ميول الجسد الشريرة ، وهوة اليمين هى المجد الباطل . فيلزم أن نسير وسط هاتين التجربتين دون أن نلتفت إلى إحداهما أو إلى الأخرى ، ونظل دائماً فى الوسط بأمانة ، فى مخافة الرب للخلاص. فإذا تصرفنا كذلك نصل أخيراً إلى ذلك المقر السعيد حيث ينتظرنا الرب وحوله جموع الأرواح السماوية التى لا تحصى عددها ، وحيث تسد الاكاليل الغنية للذين ساروا بأمانة على الدرب المستقيم » .

واستطرد يقول : « ولكن ربما تقولون يبدو إنى أريد أن أفهمكم بهذه المقارنة أنه إذا ترك أحد لنفسه العنان وجرّ ولو مرة واحدة وراء إحدى الرذائل ، فلا يمكن أن يرجع ، ويضيع دون فائدة . لا ليست هذه فكرتى . أقول بل على النقيض من ذلك ، إذا كان أحد عندما يتملكه الشعور بالندم ، يشرع فى السير فى طريق الإيمان والوصايا ، حتى لو حدث أنه أبطأ فى سيره فى بعض الأحيان ونكص عن حماسة الأول ، وبذلك صار فى خطر السقوط رويداً رويداً إلى الهوة ، فإن الله برحمته يرجعه عادة وسط الطريق حتى يمنعه من السقوط ، وحتى يسير فيه بأمان ، وعلاوة على النعم الداخلية التى يمنحها له من أجل هذا الهدف ،

فإنه يظهر ذلك بعنايته تعالى فيرسل إليه بعض الأمراض أو بعض الأحزان ، أو بعض مشاعر الفزع الشديد من شناعة الخطية مما يحمله يثوب إلى رشده ، فيمنعه بذلك من السقوط فى الهاوية إلى الأبد . ولذلك قد صورت هذا الطريق ، ليس ضيقاً جداً حتى يكاد يكون ليس له عرض يذكر ، بل صورت عرضه أربعة أذرع على الأقل .

أما الذين يسقطون فى الهاوية ويهلكون فيها بدون فائدة ، فلا يمكننى أن أشير إليهم طريقة أدق سوى تلك التى فى شخص يهوذا الخائن ، الذى إذ أخذ كل تلك الخيرات من سيده ، وشهد العجائب التى كان يصنعها ، قد أهمل مع ذلك هذه النعم لكى يسلم نفسه كلية لبخله . الذى أراده أن يظل فيه حتى هلك يائساً .

نصائحه : — وبعد ذلك أسدى إليهم القديس هذه النصيحة المفيدة جداً لأجل محاربة الرذائل واكتساب الفضائل التى تقابلها . قال :

« أريد أن أذكركم أيضاً بما أخذه أبونا الطوباوى من الكتاب المقدس ، وكان يكرره لنا كثيراً . وهو أنه إذا أردنا أن نصلح ذواتنا من إحدى الرذائل ، من الغضب مثلا ، فإنه إذا حدث أن استهزأ بنا أحد ، فبدلا من أن نتفعل ، يجب أن

نقول فى أنفسنا : حسناً ، ها قد ربحت قطعة فضة لمنفعتى . وإذا أضافوا الشقيمة إلى الاستيراء ، يلزمنا أن نقول ايضاً : أنه ربح جديد أكثر يجب الا نتركه يمر دون أن نستفيد منه .

ومن المؤكد اننا إذا أخذنا على عاتقنا أن نستخدم مثل هذه الطريقة ، فإننا واصلون إلى ترويض أنفسنا لدرء الغضب . وأى تقدم لا نحرزه أو أى ثواب لا نفوز به إذا كان لنا أن نستفيد من فرص كثيرة مماثلة بهذه الطريقة ؟ ولكن ما يجعلنا متزعزعين فى مثل هذه الأحوال ، هو أننا جسدانيون ، ميولنا موجهة إلى الأمور المحسوسة » .

وحتى يعطى وزناً صحيحاً لذلك التدريب الممتاز ، كان يؤكده بمثال الشهداء القديسين الذين لم يكتفوا باحتمال العذابات بصبر بطولى ، ولكنهم علاوة على ذلك كانوا يصلون من أجل الذين يضطهدونهم . وأخيراً يختم القديس تيودوروس خطابه بهذه الكلمات الجميلة التى تحث اولئك الذين يعانون بعض الآلام على الصبر ليحتملوها من أجل محبة يسوع المسيح ربنا ، فيقول :

« ارجوك أيها الانسان أن تقول ماذا عملت إزاء الميراث الذى يعده لك الله ؟ هل احتملت الاضطهاد ، أو الموت ايضاً من أجل اسم المسيح ؟ هلا تكون قد استوفيت أجرك بتصفيق الناس

لك . لو لزم أن يكون الثواب على قدر العمـــل ، فمن ذا الذى لا يمتدح الذين خدموا الله بالصدق ، ولا سيما الشهداء القديسين ؟ فلنعجب من صلاح الله غير المتناهى الذى يعطيكم الميراث السماوى من أجل الآلام التى تتحملونها أو الموت . انه يعاملكم أشبه من أن يقول احدكم لمن حوله : تعالوا احضـــروا إلى كل الأوانى الخزفية ، واتركوا لى الحرية أن اصنع بها ما اشاء ، أو اكسرها ايضاً إذا أردت ، وبدلا منها اعطيكم آنية ذهبية مرصعة بالحجارة الكريمة .

الالتقاء بالقديس اثناسيوس : — وبعد أن اعطى وهبانه هذه التعاليم المدهشة ، أخذ معه أكثر الرهبان اعتباراً فى الجماعة الذين كانوا يمتازون بأحسن الأصوات فى الالحان ، وذهب لمقابلة القديس اثناسيوس الذى كان ينتهز فرصة السلام الذى تتمتع به الكنيسة لكى يزور بلاد مصر ، وكان فى طريقه إلى الصعيد بالنيل ، وتقابل معه جنوب مقاطعة «هرموبوليس» (الاشمونين) . وإذ رآه الرهبان من بعيد وعرفوه ، تقدموا إليه باشتياق تقدمهم إلى الأب الصالح الذى يحترمونه ويحبونه بكل محبتهم . وكان على ضفتى النهر جمع لا يحصى ، ومن ضمنهم اساقفة كثيرون ، وعدد كبير من الاكليروس ، وعدد كبير جداً من الرهبان الذين هرعوا من كل الأماكن المجاورة .

وعندما أبصر القديس اثناسيوس جماعة القديس تيودوروس يقتربون إليه ، قال عنهم كلمة النبي : « من هؤلاء الطائرون كسحاب وكالحمام إلى بيوتها » ، أش ٦٠ : ٨ . وقدم إليه القديس تيودوروس الرهبان الأكثر اقدمية أولا لكي يحييوه ، وبعد ذلك تقدم هو ليقدم له الاحترام بدوره ، فأمسك القديس اثناسيوس بيده في محبة وسأله كأب صالح عن أمر الجماعة . ورد عليه الأب القديس بأن كل شيء يسير على ما يرام . وفي نفس الوقت بدأ رهبانه ، وكان عددهم مائة ، في ترتيل المزامير والألحان .

موكب القديس اثناسيوس الرسولي : — ولما رست مركب القديس اثناسيوس ، امتطى حماراً ، وكان القديس تيودوروس يمسك باللجام ويسير امامه وسط الجموع ، بين عدد كبير من المشاعل المضيئة التي كانوا يحملونها تكريماً للبطريرك القديس ولغرض الاضاءة لأن الوقت كان ليلا . وإذ رأى أن أبانا القديس تيودوروس يسير هكذا امامه بكل هذا الابتهاج والحماس مع ضغط الزحام من كل جانب يكاد يحترق من المشاعل المضاءة ، لم يسعه إلا أن يقول الأساقفة الذين كانوا معه هذه الكلمة التي تنم عن تواضعه الذي لا يقل عن التواضع الذي عرفه في تيودوروس :

كلمة القديس اثناسيوس الرسولي : — « انظروا بأي

اشتياق وبأي جهد يسير أمامنا ذلكم الرئيس الذي يرأس جمعاً كبيراً من الرهبان . هؤلاء هم الآباء الحقيقيون الذين يستحقون أن يحملوا هذا الاسم لأنهم متواضعون وحاضنون بهذا الشكل من أجل محبة الله . ما أسعدهم ، أنه يجدر بهم كل التقدير ، هم الذين حملوا صليب خلاصهم بصفة مستمرة ، وجعلوا جهدهم في انكارهم لذواتهم ، يجدرون في العمل راحة حتى يأخذوا الاكليل من يد سيدهم الذي هو على الكل » .

وبعد زيارته مدن انصنا وهرموبوليس (قرية الشيخ عبادة ومدينة الأشمونين حالياً) ، وقضى هناك بضعة أيام ، ذهب إلى أديرة « كايس » و « أوبي » الذين كان القديس تيودوروس قد اسسهما بالاشتراك مع القديس أبيا باخوم ، كما ذكرنا . وعرف مرة أخرى مقدار المحبة الشديدة التي يكنها له الأخوة باخلاص ، والاجلال الكثير ، فسر بالحقيقة ومجد الله من أجل ذلك . وأراد ان يشاهد الكنيسة وقاعة الطعام والقلالي ، وكل ما كان بالدير بوجه عام ، ووجد كل شيء منتظماً على أكمل وجه ، فقال للأب القديس تيودوروس :

« يا تيودوروس ، انك بالتأكيد تؤدي عملا عظيماً يساعدك النفوس بهذه الطريقة . كنت قد سمعت ثناء على

انظمنك الرهبانية ، وانى هنا أجد ان كل شيء يسير حسناً جداً . ويبدو أنك ورثت نعمة أبيك الطوباوى باخوم ، واعتقد أنى أرى يسوع المسيح لدى رؤياك » .

كان عيد القيامة وشيكاً . وحسب العرف الجارى فى النظام الديرى كان يلزم ان يذهب القديس تيودوروس إلى بابو للاحتفال به مع الاخوة . ولان القديس اثناسيوس كان يعلم ذلك لم يرد أن يعطله وقتاً أكثر ، فأعطاه خطاباً إلى « اورسيس » والاخوة الآخرين . وهو يشهد لهم فيه ويعبر عن الفرح الذى شعر به لرؤيته تيودوروس والرهبان الذين يعيشون تحت قيادته ، وانه يرى معه الرب الإله .

وعندما استأذن تيودوروس منه طلب منه ان يتذكره ، فرد عليه البطريرك القديس بهذه الكلمات لداود النبى : « ان نسيتك يا أورشليم أنسى يمينى ، ليلتصق لسانى بحنكى ان لم أذكرك » (مز ١٣٧ : ٥ - ٦) وترك له القديس تيودوروس مركبه مع الرهبان الذين اصطحبوه ، وأوصاهم بطاعة القديس البطريرك كمن له السلطة المطلقة .

وكانت رسالة القديس أثناسيوس إلى « اورسيس » تعزية كبرى له ، وكان فى حاجة إلى ذلك لضيقه بسلوك بعض الاخوة

وإهمالهم ؛ لانه بالرغم من ان الاديرة كانت مملوءة بالرهبان الاتقياء ، إلا ان الرغبة فى الامور الزمنية كانت حجر عثرة بالنسبة للبعض الآخرين ؛ وكانت هذه الرغبة تضعف فيهم الاهتمام بالامور الروحية . ولذلك كان اورسيس آسفاً متألماً . وكان القديس تيودوروس يحاول ان يسرى عنه ، ولذلك جعله يترك وحدته فى دير « بيكوز » ليذهب إلى « بابو » .

ولم يكن هو بأقل منه أسفاً وألماً بسبب ذلك ، واعتبره مما يؤدى إلى إفساد الوحدة والنظام العام . والتمس عند الله دواء لذلك وكان يصوم بصرامة شديدة ويجهد نفسه ويتنهد بعمق ويذرف الدمع الهتون فى الصلاة . وكان أيضاً يبتعد عن الاخوة مراراً كثيرة ويتردد على الجبل حيث كان قبر القديس باخوم والاخوة الآخرين ، وهناك كان يسكب قلبه امام الله بحرارة اكثر من أجل استدرار بركاته وعنايته ، وبالاخص من أجل تغيير ما بالرهبان الذين كان اهمالهم سبباً لمتاعبه الكثيرة .

وحدث يوماً لاحد الاخوة أن سأله حب الاستطلاع ليعرف سبب ذهابه إلى الجبل فتبعه عن بعد ورآه يصعد عند قبر القديس باخوم ؛ ولما اقترب منه أكثر سمعه يصلى هكذا :

« يا رب ، يا الله إله أبينا باخوم ، وأنا فوق قبره الآن ، أتوسل إليك أن تغاث فتأخذني من هذا العالم ، فطالما رأيت الناس يركنون إلى الاهمال ، لايبدون أى اهتمام نحو ممارسة الخير . ومع ذلك يا رب فلا تترك خدامك وإن تركوا أنفسهم للنوانى . بل ألق فى روعهم خشية العذابات الأبدية حتى ينحلوا عن الكسل ويلتمشوا فى حماس للقداسة . واجعلهم يسيرون بفرح فى الطريق الذى رسمته لهم . أذكر يا إلهى أننا صنعة يديك ، لم تشفق على ابنك الوحيد وأنه بذل نفسه للموت من أجل حياة العالم » .

فاعترت الاخ رعدة عندما سمعه يصلى هكذا ، ولا سيما أنه كان يطلب من الله أن يأخذه من هذا العالم .

لياحته : — وسرعان ما استجيبت صلاته ، على الأقل فيما يختص بالموت الذى اشتهاه ، ولاشك أن الله قد أعانه بذلك لأنه عند عودته إلى الدير ، عندما اغلق عينى أحد رهبانه المدعو « هيرون » Heron فى يوم سبت الفرح قال بصراحة الذين كانوا حاضرين أن هذه الوفاة ستتبعها وفاة أخرى لايتوقعونها .

وفى اليوم التالى وهو عيد القيامة قاموا بدفن الراهب « هيرون » . وبعد الاحتفال بعد أن تكلم القديس تيودوروس

مع الاخوة المجتمعين من كل الأديرة بهذه المناسبة وبعد أن حثهم على الفضيلة بحماس شديد ، لاسيما وأنه كان يرى أن هذه هى المرة الأخيرة التى فيها يلقى عليهم نصائحه الخلاصية شعر بأعراض المرض الذى توفى به .

وكان « أورسيس » يخدمه أثناء مرضه ، فعرف بحزن بالغ أنه لم يعد هناك أمل . فجمع كل الرهبان للصلاة وطلب من الرب أن يأخذه هو نفسه من هذا العالم بدلا من تيودوروس . ولكن الله كان قد استجاب طلبة قديسنا فكان فى ساعته الأخيرة . وقبل أن يلفظ النفس الاخير سأل أورسيس أمام الجميع إذا كان قد احزنه فى شىء . فلم يستطع أورسيس أن يجيبه لأن الدموع والزفرات كانت تمنعه من الكلام . ثم أضاف الأب القديس قائلا :

« أن ضميرى لايلومنى على أية إهانة لحقت بكم أو بأى الاخوة . ويعلم الله انى قدر الاستطاعة لم اهمل أمر خلاصى أو خلاص الآخرين . ومع ذلك فانى لا أريد أن تظنوا أن الفضل فى ذلك يرجع إلىّ ؛ ولكن ذلك كان بفعل رحمة الله » .

وأسلم روحه وهو يردد تلك الكلمات . وكان ذلك فى ٢٧ أبريل سنة ٣٦٧ أو سنة ٣٦٨ وكان عمره خمساً وستين سنة حسب رواية بعض المؤرخين ، أو ثلاثاً وخمسين حسب رواية البعض الآخر .

وعرف الناس نبأ نياحته بين صراخ رهبانه وعويلهم الشديد حتى لقد كانوا يسمعونهم ايضاً فى الضفة الاخرى للنيل . وظلوا أياماً كثيرة فى حزن عميق ، لاسيما وانهم كانوا قد أحبوا فضيلته وأن الكثيرين كانوا يلومون أنفسهم لانهم ألزموه بقتورهم أن يطلب من الله أن يأخذه من هذا العالم .

ودفنوه على الجبل مع الآخرين ؛ ولكن عندما نزل الجميع إلى السهل عاد « نافارس » Napharse ، وهو أحد الرهبان القدماء الذى كان يشغل المركز الثانى فى بابو إلى الجبل مع بعض الآخرين ونقل جسده من المكان الذى كانوا وضعوه فيه ليكون بجانب جسد القديس أنبا باخوم .

وثناء القديس اثناسيوس : — لايوجد برهان على قداسة القديس تيودوروس أفضل من الشهادات المدهمة التى شهد بها

القديس أثناسيوس عن قداسته فى مناسبات عديدة ؛ وحزنه على وفاته . ونقدم هنا الرسالة التى كتبها القديس اثناسيوس إلى اورسيس وإلى رهبان طابنيسى لكى يعزيهم فى تلك الخسارة الجسيمة . وهذه الرسالة فى رثاء هذا القديس العظيم نكرمه به :

« اثناسيوس إلى الآب أورسيس أبى الرهبان وإلى كل الذين معه يزمنون الإيمان الصحيح معه ويعيشون حياة التوحد ، إخوتنا الأعزاء المحبوبين ، سلام فى الرب .

ما أن علمت بنبأ نياحة الطوباوى تيودوروس حتى شعرت بألم بالغ لانى أعرف كم كان نافعاً لكم ، فكنتم أحوج مايكون إليه . بالتأكيد لو لم يكن هو تيودوروس لكنت أعمد إلى خطاب طويل وامزج دموعى بدموعكم لكى اعزيكم ، معتبراً عظم الرهبة من أحكام الله عند مفارقة هذه الحياة . ولكن عندما يكون الأمر متعلقاً بتيودوروس الذى عرفتموه والذى عرفته أنا نفسى جيداً ، فاذا أنا قائل عنه سوى أنه مغبوط ، هو الذى لم يسلك أبداً فى طريق الاشرار . وفى الواقع فاننا إذا كنا ندعو ذلك الذى يخاف الله مغبوطاً ، فكيف لاندعو هكذا من لا يمكننا أن نشك فى خلاصه ؟ ليت الله يسر بأن نشاركه

الطوبى فى يومنا ! ليت الله يسر بأن تنتهى حياتنا بالطريقة التى انتهت بها حياته ! ليت الله يسر أن نقود نحن الذين ما زلنا نمخر عباب بحر هذا العالم سفينتنا إلى ذلك الميناء السعيد بطريقة ناجحة مثله حيث نتحد مع آبائنا فنستطيع أن نقول معهم : هذا هو المسكن الذى اخترته حيث اسكن إلى الأبد !

لذلك أيها الاخوة الاعزاء لا نجزع لانتقال تيودوروس ولا يذرف أحد الدمع عندما يفكر فيه . فلنفكر بالحرى كيف نتمثل بفضائله . فإنه لا يليق ابداً أن نحزن على ما صار إليه ذلك الذى وصل بسلام إلى الاقامة فى ذلك الموضع الذى صفا من كل الاتعاب ، وهذا ما اوجهه إليكم جميعاً بصفة عامة .

اما أنت أيها العزيز المحبوب أورسيس ، فإنى لا استطيع أن أوصيك بما يغنى لتحمل مسئولية العناية بالاديرة لأن تيودوروس ليس موجوداً بعد . تذكر أنه عندما كان حياً كنت تتصرف معه فى اتفاق واتحاد تام حتى إذا غاب أحد كما يقوم الآخر بالعمل بدلا من الآخر . وعندما كنتما موجودين معاً ، إنما كنتما روحاً واحدة وإرادة واحدة من أجل خير الاخوة . فافعل اليوم نفس الشىء واخبرنى بما أنت عليه وعن رهبانك ايضاً . واطلبوا

من الرب أن يمنح كنيسته سلاماً دائماً . أننا فى الوقت الحاضر تطيب أنفسنا بالاحتفال فى هدوء بأعياد القيامة والخمسين ، وهى لا تحمل معها أفراحاً صغرى .

سلموا على كل الذين لهم مخافة الرب الحقيقية . يسلم عليكم الذين معى . ليحفظكم الرب يا اخوتى الاعزاء المحبوبين » .

وذكر عن عيد القديس تيودوروس فى السنكسار الرومانى فى ٢٨ ديسمبر . ويحتفل اليونانيون به فى ١٦ مايو ، ويكرمونه جداً فى طقوسهم . وتعيد له الكنيسة القبطية فى ٢ بشنس . بركة صلاته وشفاعته تكون معنا ولربنا المجد الدائم إلى الأبد آمين .

† † †

أودع بدار الكتب تحت رقم ٣٧١٨ لسنة ١٩٧٣